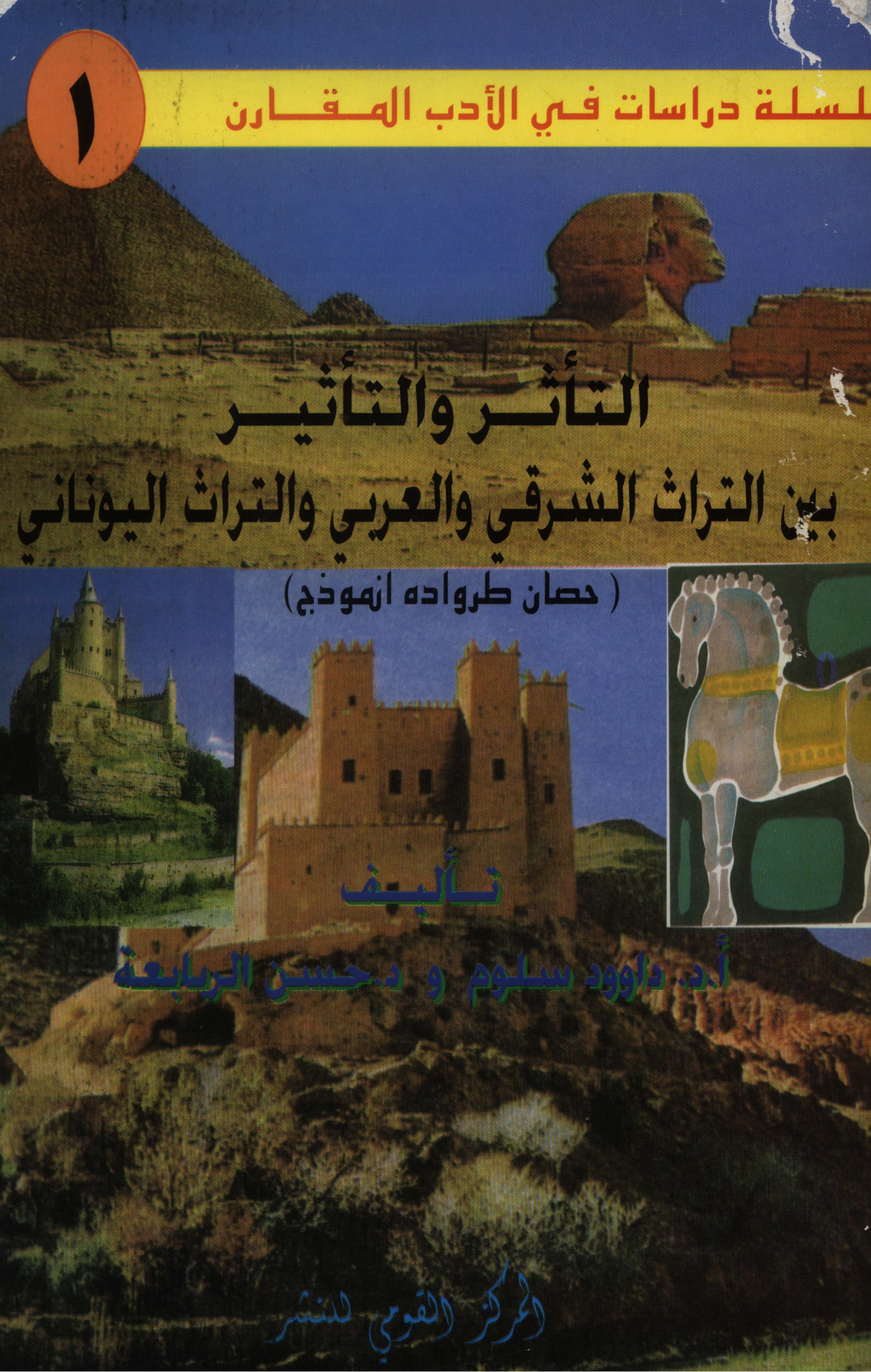

١
لسلة دراسات في الأدب المقارن
التأثر والتأثير
بين التراث الشرقي والعربي والتراث اليوناني
(حصان طرواده انموذج)
تأليف
أ.د. داوود سلوم و د.حسن الربابعة
المركز القومي للنشر

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

المركز القومي للنشر

الأردن - اربد - شارع الجامعة - ص.ب (٦٢٠٥٧٠)

تلفاكس ٧٢٥٤١١٤ ٢ ٠٠٩٦٢

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(١٠٨٦/٦/١٩٩٩)

رقم التصنيف:٨٠٩

المؤلف ومن هو في حكمه: داود سلوم ، حسن ربابعة

عنوان الكتاب: التأثر والتأثير بين التراث الشرقي والعربي والتراث اليوناني؛ حصان طروادة أنموذج.

الموضوع الرئيسي :١- الآداب

٢- الأدب المقارن

بيانـــات للنشـــــر : المركز القومي للنشر - اربد

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

التأثر والتأثير

بين التراث الشرقي والعربي والتراث اليوناني

سلسلة دراسات في الأدب المقارن (١)

التأثر والتأثير

بين التراث الشرقي والعربي والتراث اليوناني

حصان طروادة أنموذج

تأليف

أ. د. داود سلـــــوم و د. حسن محمد ربابعـــة

أستاذ الأدب والنقــد — رئيس قسم اللغة العربية

جامعة جرش الأهلية — جامعة جرش الأهليـــة



المركز القومي للنشر



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

إذا كانت الحدود السياسية بين الدول، تقف حاجزَ مرورٍ بين الدول، إلا بعد أن تبرز وثيقة صافية تسمح لك الدول بالمرور حسب أنظمة وضعية تضعُها، فإن للأدب العالمي أثراً وتأثيراً لا يعرف لها حدّاً، ولا تستوقفه جدران وحدود، وعليه؛ فكتابنا خيرُ دليل على التأثر والتأثير بين التراث الشرقي والعربي والتراث اليوناني، وحصان طروادة خير أنموذج، يمثل دراسةً في منلهج الأدب المقارن، فيشمل المسرحية والشعر والحكاية، وأثرها وتأثيراتها في الحضارات المختلفة، ولعلّ هذا المنهج يُعَدُّ من أغنى المناهج، حيـن يُطَبَّـقُ على الآداب الشرقية.

لقد توقفنا في القديم عند أقدم النصوص، وهي ملحمة كلكامش (جلجامش) وتأثيرها في الآداب العالمية فيما بعد، كما أثرت المقامة العربية في الأدبين الفارسي والإسباني، والأمثلة كثار، قليلها يغني عن كثيرها في الاستشهاد.

هذا، وقد انقسم الكتاب هذا فصولاً هي: منهج الدراسة وأصول موضوع البحث، والاختباء الفردي، والاختباء الجماعي، ممثلاً بسفينة نوح وحصان طروادة، والاختباء الجماعي بعد التاريخ من الأسطورة إلى النص التاريخي، وتحول فكرة الاختباء إلى الحكاية الشعبية، وأخيراً انتقال المضمونات في الملاحم والحكايات، وسبل الكشف عنها.

هذا، وقد اختتمنا كتابنا بملحق من اللوح الحادي عشر والثاني عشر (الطوفان) في ملحمة كلكامش العراقية، التي أثرت في الآداب العالمية.

وعليه فنأمل أن نكون قدّمنا للمتلقي خدمة بحق في مناهج في الأدب المقارن مؤثراً ومتأثراً بين التراث الشرقي والعربي والتراث اليوناني، ممثلين عليه بحصان طروادة أنموذجاً، فعسى أن يجد المتلقي ضالته في هذا الكتاب، والله من وراء القصد.

١٩٩٩/٦/١٨

المؤلفان


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

منهج الدراسة

إن هذا النوع من البحث يدخل في مناهج الأدب المقارن، وإن الأجناس الأدبية، التي يشملها هذا البحث هي: المسرحية والشعر والحكاية، ويبحث هذا المنهج في تعريف الأنواع الأدبية، وتسلسل ظهورها في الحضارات، ثم كيفية انتشارها مُن حضارة إلى حضارة، وإن هذا المنهج يُعدّ أغنى المناهج حين يطّبق على الآداب الشرقية بما فيها اللغة العربية.

ولا بد لنا هنا أن نقول كلمة قصيرة عن ماهية هذه الأجناس وتفرعها إلى أنواع أدبية مختلفة، يمكن أن نطوي تحت هذا الباب - بل أهم ما فيه- هو الحكاية القديمة وفي العصر الحديث؛ الأقصوصة والقصة القصيرة والرواية. وبالنسبة للتراث العربي القديم يمكننا أن نضيف إلى هذه الأنواع التي ذكرت المقامة، وهي نوع أدبي كان له تأثيره في الأدبين الفارسي والإسباني.

وإذا نظرنا إلى الشعر نوعاً أدبياً من هذا الجنس فيمكن أن يُدرس تأثيره العروضي والبحور ثم المضامين، ويمكن أن يُقسَم الشعرُ جنساً إلى أنواع، منها الشعر الغنائي والملحمي والمسرحي (المأساة والملهاة) أي (التراجيدي والكوميدي) في الأدب اليوناني والروماني وأدب أوربا الوسيط.

ويبقى الجنس الحكائي والقصصي أكثر الأجناس للدراسات المقارنة لوضوح الرؤية فيه، ولأن التأثير يظهر واضحا في العقدة وعدد الشخصيات والبداية والنهاية.

ومن الصعب في هذا المنهج دراسة المضامين الشعرية أو المضامين الدينية، مثل مضامين ايات القران الكريم، خاصة بالنسبة لمن لم يقرا القران بلغته فيتأثر باسلوبه إضافة الى المضمون، فعلى سبيل المثال: ان أثر شعر الغزل العربي في الاندلس ما زال محلّ جدل في مقدار هذا الأثر الذي نسب الى

شعراء التروبادور، وحجة ذلك أن العواطف الإنسانية واحدة، وتتبدل هذه العواطف بتقدم هذه الأمم في مدارج الحضارة، فلا يمكن أن يقطع الباحث في أن موقف شاعر التروبادور من تساميه في غزله بالمرأة هو نفسه الأثر العربي في الغزل العذري الذي نبع أساساً في القرن الأول في الحجاز ثم تطوّر في الغزل الأندلسي العربي على يد شعراء كبار مثل ابن زيدون وغيره.

وقد وجدنا كذلك؛إنه من الصعب إثبات مواقع محددة وثابتة في الكوميديا الإلهية لـ((دانتي))، يمكن أن يعتمد عليها الباحث لإثبات الأثر القرآني إثباتا محدداً لا لُبس فيه، ومن أسباب هذه الصعوبة أن دانتي قرأ القرآن مترجماً، لم يتأثر إلا بالصورة القرآنية للنار أو النعيم، وهذه الصورة موزعة على عدد من السور، وإذا أضفنا إلى ذلك عبقرية الشاعر، وإضافاته حين كتب الكوميديا الإلهية من نفسه، أو من التراث اليوناني والروماني، تصبح مشكلة القطع بالتأثر حلقة مفرغة.

وفي سبيل إعطاء صورة عن المنهج الحكائي وسهولة رصد التأثر سوف نشير إلى بعض الحكايات وانتقالها من حضارة سومر أو بابل، إلى الحضارات الأخرى لأن سهولة تتبع العقدة والشخصيات والمغزى أمور تكون واضحة في أيّة حكاية، سواء أرويت في الأدب اليوناني أم الهندي أم الصيني.[١]

وفي سبيل البرهان علىَ ذلك سنحاول دراسة حكاية الحيوان التي نشأت في الأدب العراقي القديم، وأثرها في الأدب اليوناني، وأثر الحكاية العربية، في الأدب الهندي، وحكايات جحا وأثرها في الأدب الصيني، ويمكن أن نعطي مثلاً أو مثلين لكل حالة.

فالحكاية البابلية تروى كما يلي:

---

[١] دراسات في الأدب المقارن التطبيقي: د. داود سلوم، بغداد، ١٩٨٤، ص ٣١-٣٢.

"وقفت مرة (بعوضة) فوق ظهر (فيل) وهو يمشي، فقالت له: أثقلت عليك يا أخي؟ فإذا كنت فعلت، فإنني سأنزل عند بلوغنا مورد الماء، فأجابها الفيل: من أنتِ؟ لم أحسَّ أنك كنت فوق ظهري ولن أعرف عندما ستنزلين!".[٢]

وفي الأدب اليوناني (إيسوب) الحكاية كالتالي:

"كانت بعوضة صغيرة تطنّ عند رأس ثور، ثم استقرت على قرنه وطلبت عفوه للحطِ عليه وقالت له:

إذا كان ثقلي يؤذيك أرجوك أن تخبرني بذلك لأطير عنك في الحال.

فقال لها الثور: لا تزعجي نفسك حول ذلك،لأن الأمر واحد بالنسبة لي؛ إن بقيت أو ذهبت.

ولكني أقول الحقيقة فإني لم أعرف من قبل أنك كنت واقفة هناك".[٣]

وقد انتقلت هذه الحكاية من إيسوب وهو من رجال القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد إلى فيداروس الروماني من كتّاب القرن الأول الميلادي.

ثم ظهرت في الأدب العربي، في المجموعة القصصية المنسوبة إلى لقمان بعنوان "الذبابة والثور".

ثم تتطور الحكاية في الأدب العربي العباسي وتأخذ الحكاية طبيعة البيئة العربية ويرويها الثعالبي بعنوان "البعوضة والنخلة" بهذه الصيغة:

"قالت البعوضة للنخلة: استمسكي! فإني عنك ناهضة؟

قالت: ما أحسست وقوعك فكيف نهوضك؟!"[٤]

---

[٢] مقدمة في أدب العراق القديم: طه باقر، ص١٨٢ .

[٣] Aesop's and other Fables, p. 49

وانظر كتاب: قصص الحيوان لداود سلوم، ص٢٩ .

[٤] التمثيل والمحاضرة: الثعالبي ص٢٧٦.

وإذا أردنا أن نصل إلى اليقين المطلق بأثر الحكاية ذات الأصل البابلي بالأدب اليوناني والروماني والعربي فإننا نرسم هذا التخطيط الذي يوضح ذلك.

المصدر	الشخصية الأولى (الضعيفة)	الشخصية الثانية (القوية)	المغزى
البابلي	البعوضة	الفيل	غرور الضعيف
اليوناني (إيسوب)	البعوضة	الثور	غرور الضعيف
الروماني (فيداروس)	الذبابة	الجمل	غرور الضعيف
العربي (الثعالبي)	البعوضة	النخلة	غرور الضعيف

ومهما اختلفت الشخصيات الضعيفة بين البعوضة والذبابة فإن ضعف هذه الحشرة يجمعها في خيط واحد، فكلها حشرات تافهه خفيفة الوزن، ولكنها تتسم بشيء من الكبرياء والغرور.

ومهما اختلفت الشخصيات القوية بين الفيل والثور والجمل والنخلة، فإنه يجمعها عامل القوة أو الضخامة التي يجعل شعورها بالشخصية الضعيفةِ خفيفةِ الوزن مستحيلاً، وأنّ المغزى في الحكايات الأربع واحد: هو الغرور الزائد للشخصية التافهة وظنها بنفسها ظناً حسنا لا يؤيده الواقع.

وإذا أخذنا أثر حكاية الحَيوان العربي في الأدب الهندي مثلاً، يظهر أثر النص العربي واضحاً جداً في بناء العقدة وتفصيلاتها حتى وإن اختلف جنس الحيوان.

فإذا أخذنا حكاية "القبّرة والنصائح الثلاث" فإن الحكاية العربية يرويها الشعبي (ت ١٠٣هـ).

ونجد الحكاية فيِ الأدب الشعبي في سيرالانكا (سيلون) في جنوب الهند وكذلك في مجموعة قصص ماليزيا (ملايو) وتقع في جنوب شرق المحيط الهندي. وسوف نقارب بين النص العربي والنص الماليزي الذي كان قد انتقل

إما عن طريق الهند وإما عن طريق العرب المسلمين الذين هاجروا إلى ماليزيا عن طريق اليمن.

وهذه الرواية العربية كما رواها الشعبي:

"قال الشعبي: أخبرت أن رجلاً صاد قبرة، فلما صارت في يده

قالت:

- ما تريد : أن تصنع بي؟

قال:

- أذبحك وآكلك!

قالت:

- ما أشفي من مرض ولا أشبع من جوع، ولكن أعلمك ثلاث خصال خير لك من أكلي، أما واحدة فأعلمك وأنا في يدك. والثانية: فعلى الشجرة. والثالثة: فعلى الجبل.

فقال:

- هاتي الواحدة

قالت:

- لا تتلهفن على ما فاتك!

قال: (فلما صارت على الشجرة)

قال: هاتي الثانية

قالت: لا تصدق بما لا يكون أن يكون، يا شقي لو ذبحتني أخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالاً!

فعضّ على شفتيه وتلهف، فلما صارت على الجبل.

قال لها:

- هاتي الثالثة

قالت: إنك نسيت اثنتين، فكيف أحدثك بالثالثة؟ أنا وريشي ولحمي لا أكون عشرين مثقالاً!

وطارت وذهبت".

وكما قلنا فإن القصة تظهر في مجموعة حكايات سيرالانكا (سيلون) الشعبية، وتظهر كذلك في مجموعة قصص ماليزيا (ملايو) وكانت الحكاية السيرالانيكية أقرب إلى النص العربي. والطائر ليس قبّرة وإنما هي ببغاء وقد ساومت الببغاء على حياتها مقابل ثلاث نصائح هي:

- لا تأسَ على ما فاتك في حياتك حتى ولو كان يساوي كل حياتك كلها.
- لا تصدق شيئاً حتى تراه بأم عينك.

ثم قالت له: بأن في جوفها لؤلؤتين. فأسف على إطلاقها ثم سأل عن النصيحة الثالثة فقالت:

- انك لم تنتفع بالنصيحتين السابقتين فماذا تفعل بالثالثة؟

وفي الحكاية الماليزية فإن الملك يمسك بطائر صغير الحجم فقال له الطائر: أن جده قد أوصاه أن ينقل إليه ثلاث نصائح، وأن يسلمه جوهرة حجمها حجم إبهام رجل الملك ولكنها على الشجرة وطلب من الملك أن يطلقه ليجلب له الجوهرة:

ثم قدم له النصائح وهي:

- لا تصغ للأقوال المعسولة.
- لا تأمل خيراً فيما ذهب.
- لا تفكر فيما فقدته.

ويطلق الملكُ الطائر ويطول انتظاره وحين طالب الملك الطائر أن يعطيه الجوهرة قال له الطائر:

- يا صاحب الجلالة، لماذا لا تذهب إلى البيت؟ ألِم أقل لك: لا تصغ للأقوال المعسولة ...ألخ (وذكر النصائح الثلاث) كيف يمكن أن أحمل لك جوهرة أكبر من حجمي؟

ثم قال له:

- تذكر كلماتي وانقلها إلى شعبك، اعتن بما لديك ولا تأمل خيراً فيما خسرته.[٥]

وإذا أردنا أن نرسم تخطيطاً لشخصيات الحكايات الثلاث والعقدة يظهر التطابق كاملاً:

المصدر العربي	الشخصية الأولى	الشخصية الثانية	العقدة	المغزى
الحكاية العربية	القبرة	الصياد	النصائح	عدم تصديق المستحيل
الحكاية السيرالانيكية	الببغاء	الصياد	النصائح	عدم تصديق المستحيل
الحكاية الماليزية	طائر صغير (القبَّرة)	الملك	النصائح	عدم تصديق المستحيل

إن التشابه هنا مع كل الاختلاف الجزئي هنا وهناك في سير العقدة وصيغة النصائح الثلاث (ولعل الترجمة قد أدت إلى الاختلاف) فإن مغزى الحكاية واحد

[٥] دراسات في الأدب المقارن التطبيقي: داود سلوم، ص٩٥-٩٧، ويجد القارئ مصادر الحكاية في هوامش البحث هناك.

ومتطابق، وقد رأينا في الحكاية الماليزية اختلافاً في الشخصية الثانية ولكن سير العقدة واحد ومتطابق.

وفي سبيل تأكيد وجهة نظرنا بأهمية دراسة الحكايات وسهولة تتنعها، فإننا نريد أن نضرب مثلاً في حكاية من حكايات جحا التي يرويها مسلمو الصين وينسبونها إليه، مع أنها لا تروى له في الأدب العربي، ولا في الأدب التركي حيث طور الأتراك هذه الشخصية إلى مداها الأبعد وأدخلوها إلى تراث العالم.

والنص العربي لهذه الحكاية رواه الدميري (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م) في كتابه "حياة الحيوان الكبرى"، هذه الحكاية نقلاً عن الطرطوشي (٥٢٠هـ/١١٢٦م) في سراج الملوك في الفصل السابع والأربعين قال:

"إن عبد الملك بن مروان أرقَ ليلة، فاستدعى سميراً له يحدثه، فكان فيما حدثه به أن قال:

- يا أمير المؤمنين كان بالموصل بومة، وبالبصرة بومة، فخطبت بومة الموصل إلى بومة البصرة بنتها لابنها.

فقالت بومة البصرة:

- لا أفعل إلا أن تجعلي لي صَداقَها مائة ضيعة خراب.

فقالت بومة الموصل:

- لا أقدر علَى ذلك الآن، ولكن إن دام والينا- سلّمه الله - علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك.

قال:

- فاستيقظ لها عبد الملك وجلس للمظالم، وأنصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة"[٦]

---

(٦) الأدب العربي في تراث العالم: د. داود سلوم، بغداد ١٩٨٧، ص ١٥٥-١٥٦.

أما النص الصيني فقد ألغى الأسماء العربية وأصبح المصدر هو أفانتي (الأفندي جحا) يخاطب الملك. ونص الرواية الصينية لمسلمي الصين مترجماً في كتاب – حكايات شعبية من الصين – يرد كالتالي:

"أخذ أفانتي يتباهى بنفسه قائلاً:

– إنني أفهم لغة الطيور.

فسمع الملك بذلك واصطحبه إلى الصيد، وفي طريقهما رأيا جداراً بين الخرائب وكانت بومة تنعب من فوقه، فسأل الملك أفانتي:

– ماذا تقول البومة؟

فأجابه أفانتي:

– حسناً، إنها تقول إذا ما استمر الملك في اضطهاد الشعب فستنهار مملكته عما قريب تماماً كما انهار عشي".[٧]

وببساطة يمكن أن نلمح التشابه والتطابق من خلال الجدول التالي:

الراوية	المستمع	الشخصية الثانية	المغزى
سمير الخليفة	عبد الملك بن مروان	البومة	الظلم وضرورة تجنبه
أفانتي (الأفندي جحا)	الملك	البومة	الظلم وضرورة تجنبه

ومن خلال جوهر الحكاية والمضمون والمغزى، فإننا سوف نتبع الأثر الحضاري القديم في حكاية حصان طروادة، ثم نتبع هذه الفكرة نزولاً إلى الأدب العربي وحتى انتهاء الحكاية في ألف ليلة وليلة، بعد أن جردت من كل المضامين التاريخية، وقد عرضنا قصة حصان طروادة على أنها يونانية لأن فرجيل الروماني الذي أدخل فكرة الحصان على رواية الإلياذة لهومر فأغلب

---

[٧] المصدر نفسه ، ص١٥٥ .

الظن أنّ فرجيل قد أفاد من قصة شعبية يونانية مغتمدة على الأساطير الشــــرقية وسجلها في كتابه (الإنياذة) ولذلك فإننا سنعامل فكرة حصان طروادة على أنـــها فكرة يونانية وليست فكرة رومانية، لأن حرب طروادة اليونانية كانت السبب في ظهور فكرة حصان طروادة.



أصول موضوع البحث

إن محور حكاية "حصان طروادة" هو (الاختباء) لغرض عسكري وإنّ فكرة الاختباء هذه ظهرت أول ما ظهرت في الأدب السومري، ثم الأدب البابلي، ثم انتقلت إلى الأدب اليوناني والعربي، وبذلك يمكن أن نقول ببساطة إن هذا التسلسل التاريخي، سيكون مهماً في إرجاع أصول الحكاية إلى منابعها الأولى.

ويمكن أن نقسم هذا (الاختباء) إلى أصل فردي كالهرب من القتل (قصة موسى ووضعه في السفط ورميه في النيل)، أو الخوف من الافتضاح الذي يؤدي إلى القتل (قصة سرجون الأكدي الذي وضعته أمه الكاهنة في سفط ورمته في النهر)، لأن الكاهنة لا يجوز لها اللقاء الجسدي والحمل، ومعرفة ذلك عنها يؤدي بها إلى القتل، وقد أكّد القرآن الكريم قصة موسى مما يشير إلى أن أخذ اليهود فكرتها أي (الاختباء) عن الأصل البابلي. وأكد القرآن الكريم القصة في سورة (القصص).

أما الأصل الجماعي وأصله غرض عسكري قد يكون سببه النجاة من خطر معادٍ داهم (كما في قصة الطوفان السومرية والبابلية وقصة نوح في التوراة والقرآن) أو خداع العدو لغرض الحرب، كما في قصة (حصان طروادة وحكاية الزبّاء) وغيرهما، وسنأتي على ذكر هذه القصص بالتفصيل، ولكي نؤكد السبق التاريخي السومري والأكدي في الحالتين، فإننا سنذكر بعض التواريخ التي تحدّد الفترات التي كتب فيها هذا الأدب.

فالسومريون قد ظهروا حضارةً في التاريخ عام ٣٥٠٠ ق.م، وانتهت هذه الحضارة بقيام الدولة الآكدية التي ظهرت عام ٢٧٣١ ق.م وانتهت في حدود

عام ٢١٥٤ ق.م وكان ملكها الأول سرجون الآكدي بطل قصة (الاختباء) الفردي كما سنرى.[٨]

كان الباحثون قد اكتشفوا حضارة بابل قبل اكتشاف حضارة سومر وحين اكتشفت حضارة سومر، وفكت رموز لغتها عام ١٨٦٩ م ظهر أنها لغة غير سامية، مما دعا البحثة إلى افتراض نظريات مختلفة في الأصل الآسيوي (الهندي والصيني) والأصل الأوروبي (الهنغاري) لهذه الحضارة.[٩]

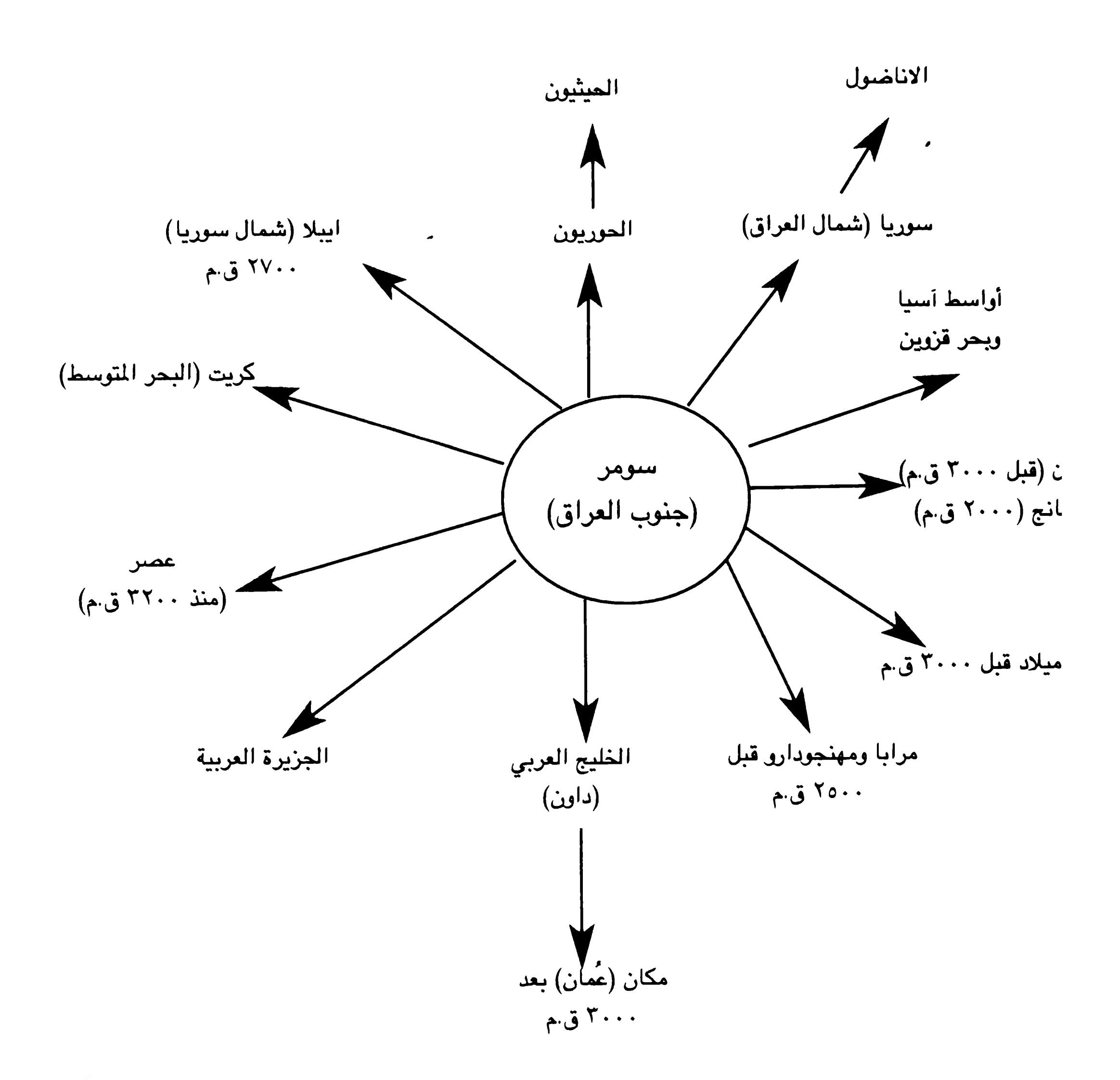
إلا أن الباحث خزعل الماجدي في كتابه "متون سومر" تمكن من أن يثبت النشأة المحلية للشعب السومري وانتقاله على مراحل من شمال العراق (حوالي سامراء) إلى جنوب العراق حيث نمت حضارتهم وأبدعت في فنون المعرفة والآداب.

كانت الحضارة السومرية هي الحضارة الأولى في تاريخ الكون، ويمكن أن نشبهها بالشمس التي تدور حولها الكواكب السيارة، فإن كل الحضارات التي نشأت في أوروبا وآسيا تالية لها في التاريخ، فكانت متأثرة بها، وهذا سرّ التشابه الجزئي في المفردات اللغوية أو المصنوعات المادية، ويمكن أن نستعير من الماجدي التخطيط الذي رسمه للإشعاع السومري الأول، ومثله الآكدي في الحضارات المجاورة على مختلف العصور.[١٠]

وحين نتكلم هنا عن الأثر السومري، فعلينا أن نأخذ بنظر الاعتبار الأثر الآكدي الذي نقل الأدب السومري - كما في قصة الطوفان - والتي ضِمنها في ملحمة كلكامش وأعطاها بعداً مهماً، في توسيع مدى ملحمة كلكامش وجعلها جزءاً مهماً من عقدة الملحمة، وهي بحث كلكامش عن الخلود. وإذا أضاف الأدب الآكدي البابلي إلى كل ذلك بإبداعه بعض الأجناس الأدبية؛ فإنه من تفتق

---

(٨) إنجيل بابل، خزعل الماجدي، ص٢٥٤.
(٩) متون سومر: خزعل الماجدي، ص٢٨ وما بعدها.
(١٠) متون سومر: خزعل الماجدي ، ص٤٩.



الاناضول
الحيثيون
الحوريون
سوريا (شمال العراق)
ايبلا (شمال سوريا)
٢٧٠٠ ق.م
أواسط آسيا
وبحر قزوين
كريت (البحر المتوسط)
سومر
(جنوب العراق)
ن (قبل ٣٠٠٠ ق.م)
انج (٢٠٠٠ ق.م)
عصر
(منذ ٣٢٠٠ ق.م)
ميلاد قبل ٣٠٠٠ ق.م
الجزيرة العربية
الخليج العربي
(داون)
مرابا ومهنجودارو قبل
٢٥٠٠ ق.م
مكان (عُمان) بعد
٣٠٠٠ ق.م

العبقرية السامية التي اعتمدت على النماذج الأدبية السابقة التي أفرزتها الحضارة السومرية قبل ذلك بمدة تزيد على خمسة عشر قرناً.

ففكرة الطوفان الذي وقع ما بين ٣٢٠٠ و ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، قد حدث في الفترة السومرية وإن أحداثه قد سجلت في الأدب السومري بعد ظهور الكتابة في سومر بعد ٣٢٠٠ قبل الميلاد.[١١]

وأعيدت صياغة قصة الطوفان - كما ذكرنا- في بابل وألحقت بملحمة كلكامش في العهد الآكدي البابلي الذي استمر ما بين ٢٧٣١ ق.م و ٢١٥٤ ق.م والذي بدأ بظهور سرجون الآكدي.[١٢]

---

(١١) متون سومر: خزعل الماجدي، ص٣٨.

(١٢) إنجيل بابل: خزعل الماجدي، ص٢٥٤.

الاختباء الفردي

إن فكرة الاختباء الفردي جزء مهم من المضمون موضوع الدرس، سجله سرجون الآكدي في سيرته الذاتية التي سوف نذكرها، وسرعان ما تعلم منه اليهود درسا طبقوه في محاولة إنقاذ موسى من القتل.

وكما ذُكرنا، فإن الخوف من القتل كان يشكل عقدة القصة البابلية والتوراتية والقرآنية.

فالخوف الذي عانته أم سرجون- وهي كاهنة- لا يجوز لها ممارسة الجنس، ولكن وقوعها في حميا الرغبة، أوقعها فيما تخاف منه، فقد حملت بسرجون الذي وضعته في سفط أو صندوق مغلق ورمته في نهر الفرات، ويفصل سرجون قصة رميه في النهر والتقاطه منه ثم وصوله إلى سدة الحكم والانتهاء بفتوحاته وانتصاراته، ويمكن أن نقول: إن سيرة سرجون التي سجلها بصيغة المتكلم هي أول سيرة ذاتية تسجل في الأدب الإنساني.

وعلينا أن نذكر هنا أن المرأة هي بطلة الاختباء الفردي الذي يمثل حب الأم لطفلها ومحاولة النجاة به أو معه من الموت، ويمثل ذكاء المرأة في إيجاد حل حين تقع في مثل هذه الأزمات .

ولا شك في أن البحثة في أدب ما قبل التاريخ، قد أدركوا هذا الشبه بين قصة سرجون قبل ٢٣٣٤ ق.م، أو قصة موسى التي رويت في التوراة والقرآن الكريم.

ونعتقد بأن اليهود لم يأخذوا القصة وينسبوها اعتباطا إلى موسى، وإنما مثلت أم موسى الدور نفسه، وهذا دليل على وصول القصة إلى مصر وسماع اليهود بها. ومما يوثق ذلك أن القرآن الكريم قد ذكرها ووثقها.

ونقتبس نحن رأي علماء الآثار لغرض التوثيق بمصدر القصة وليس لأنها أسطورة خيالية أو قصة واقعة قد حدثت فعلاً أو لم تقع.

قال خزعل الخالدي:

"تظهر لنا سيرة سرجون في ما يشبه الأسطورة التي شاعت في العالم القديم عن ذلك الطفل الذي تلده أمه بالسر، وتضعه في سلةٍ وترميها في النهر، حتى يتلقفها أناسٌ يتولون تربيته ثم يكبر هذا الطفل ويهدد الملك ويأخذ منه الملوكية[*].

هذه الأسطورة التصقت بالنبي موسى، ولكن الحفريات أظهرت أن سرجون هو الذي عاشها. وبغضّ النظر عن حقيقتها إلا أنها كانت تضفي على صاحبها أصلاً غامضاً يدخله في نطاق الأساطير.

أما أنه كان ساقياً للملك أور- زبابا؛ فهذه حقيقة تاريخية.

ويعَدُّ سرجون من الناحية العملية مؤسس أول إمبراطورية في التاريخ وقد عاش في الفترة (٢٣٣٤-٢٢٧٩) ق. م."[١٣]

ونستعين كذلك الماجدي الذي لخص سيرة سرجون الآكدي فيما يتعلق برميه في النهر، وقد رواها الماجدي بأسلوبه معتمداً على النص السرجوني الذي تكلم به الملك سرجون بصيغة المتكلم.

ومهما كان فإن الماجدي يذكر تفصيلات القصة التي استلهمها من سيرة الملك الذي يبدو أنه لم يشعر بالحرج من رواية ما فعلت أمه الكاهنة التي ارتكبت ما يخالف توصيات المعابد في بتولة الكاهنات في ذلك الزمن البعيد. قال الماجدي:

---

[*] سفر الخروج ٢٠/١٢ - ٤٠ وتاريخ الأمم والملوك: الطبري جزء الأول ١٨٠-٢٠٠.

[١٣] أنجيل بابل: خزعل الماجدي، عمان، ١٩٩٨، ص٢٥٤.ولابات رينيه: المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ١٩٩٨ ، ص٣٩٦.

"نقلت الملوكية إلى أكد، وفي أكد حكم سرجون الذي تبناه الرجل البستاني الذي صار ساقياً للملك أور- زبابا، الذي شيد أكد وحكم فيها ستاً وخمسين سنة، وصار ملكاً عظيماً لبلاد النهرين والمنطقة، كان ملك الجهات الأربع، الملك القوي، أمه الكاهنة العليا، أما أبوه فغير معروف، أخوه ساكن الجبال، مدينته التي ولد فيها هي مدينة الزعفران (أزوبيراني) على ضفاف الفرات، حملت به أمه الكاهنة العليا، وولدته في السر، ثم وضعته في سلة من القصب ،وبالقار ثبتت غطاءها ورمته في النهر الذي لم يتمكن من الهرب منه، والنهر حمله وجلبه حتى (أقي) الساقي، عندما رمى دلوه رفعه إلى الأعلى، ثم ربّاه كما لو أنه ابنه، ووضعه للعمل في بستانه. وفي أثناء عمله في البستان، الآلهة عشتار أحبته والناس ذوو الرؤوس السود اعتنى بهم وحكمهم، ثم عبر الجبال الصعبة مستخدماً المعاول النحاسية وسلاسل الجبال العليا تسلقها"[١٤]

وسرعان ما قلّد اليهود الحادثة ومثلتها أم موسى في اتخاذ الدور نفسه حين خافت على ولدها من فرعون.

وذكرت القصة في سفر التكوين الذي يضع له الباحثون في التوراة تاريخاً كتب فيه. ويحددون ذلك ما بين الأعوام (١٤٢٠-١٢٢٠ ق.م)، ونعتقد إلى القصة قد سجلت في وقت أكثر تأخراً من ذلك ولعلها سجلت في بابل وهذا هو نص التوراة:

مقتل الأطفال الذكور

ثم قال ملك مصر للقابلتين العبرانيتين المدعوتين شِفرة وفُوعة: "عندما تشرفان على توليد النساء العبرانيات، راقباهن على كرسي الولادة، فإن كان المولود صبياً فاقتلاه، وإن كان بنتاً فاتركاها تحيا. غير أن القابلتين كانتا تخافان

---

(١٤) المصدر نفسه، ص٢٥٤.

الله فلم تنفذا أمر الملك، فاستحيتا الأطفال الذكور. فاستدعى ملك مصر القابلتين وسألهما: "لماذا فعلتما هذا الأمر واستحييتما الأطفال الذكور؟". فاجابتاه: "إن النساء العبرانيات لسن كالمصريات، فإنهن قويات يلدن قبل وصول القابلة إليهن". وتكاثر الشعب وعظم جداً. وإذ خافت القابلتان الله أثابهما بنسل. ثم أصدر فرعون أمره لجميع شعبه قائلا: "اطرحوا كل ابن (عبراني) يولد في النهر، أما البنات فاستحيوهن".

ولادة موسى

وتزوج رجل من بيت لاوي فتاة ابنة لاوي. فحملت المرأة وأنجبت ابناً، وإذ راقها جماله خبأته ثلاثة أشهر. ولما لم تستطع أن تخفيه بعد، أتت بسفط من البردي وطلته بالحمر والزفت، وأضجعت الطفل ووضعته بين الحَلْفاء على ضفة النهر. ووقفت أخته من بعيد لترى ما يحدث له.

إنقاذ موسى

وأقبلت ابنة فرعون لتستحم في النهر، بينما راحت وصيفاتها يتمشين على ضفة النهر. فرأت السفط بين الحلفاء فأرسلت وصيفتها لتأتي به. ففتحته ورأت الطفل وإذا هو يبكي، فرقت له وقالت: "هذا من أولاد العبرانيين" فقالت أخته لابنة فرعون: "هل أذهب وأدعو لك مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد؟". فأجابتها ابنة فرعون: "اذهبيّ"؛ فمضت الفتاة ودعت أم الصبي. فقالت لها ابنة فرعون: "خذي هذا الصبي وأرضعيه لي، وأنا أعطيك أجرتك". فأخذت المرأة الصبي وأرضعته. ولما كبر الولد، ردته إلى ابنة فرعون فتبنته ودعته موسى (ومعناه منتشل) قائلة: إني انتشلته من الماء".[١٥]

وأن القرآن الكريم قد وثق القصة في سورة القصص وأعطاها بعداً إنسانياً عميقاً في حنان الأم وَحزنها وخوفها وكيف أن الله سبحانه قد كافأ هذا الحنان

---

[١٥] العهد القديم: سفر الخروج ١-٢ (انظر الكتاب المقدس، كتاب الحياة، ص٧٢-٧٣)، ط٦- ١٩٩٨.

بنجاة موسى، وبالتقاط آل فرعون له، وبالاحتفاظ به ليكون حرباً على فرعون ومخلصاً لبني إسرائيل؛ من الأسر والعبودية.

قال تعالى:

﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفتِ عليه فألقيه في اليمّ ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين(٧) فالتقطه آلُ فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إنّ فرعون وهامان وجنودَهما كانوا خاطئين(٨) وقالت امرأة فرعون قُرّتُ عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون(٩) وأصبح فؤاد أمّ موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولآ أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين(١٠) وقالت لأخته قصّيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون(١١) وحرّمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفُلونه لكم وهم له ناصحون(١٢) فرددناه إلى أمه كي تقرَّ عينها ولا تحزن ولتعلم أنّ وعد الله حق ولكنّ أكثرهم لا يعلمون(١٣)﴾[١٦].

وبذلك يكون أول تأثير آكدي بابلي قد وصل إلى مصر، وانتشر بين الشعوب التي عاشت في وادي النيل بحيث أصبح مثلاً يحتذى ويقلد ويمثل. فقد استعملت أم موسى الأسلوب نفسه الذي استخدمته أم سرجون للخلاص من التهمة وتشترك القصتان إضافة إلى أن المرأة هي البطلة فيها وأن موسى وسرجون كليهما في سيرة حياتهما نالا مركزاً ذا شأن. فقد اصبح سرجون ملكاً وأصبح موسى نبياً وريثاً لبني إسرائيل لدخوله فلسطين كما أن سرجون تمكن من احتلال كثير من الأرض وأسس أول إمبراطورية في التاريخ.

ولا بد أن نختم هذا الجزء من البحث بأثر القصة القرآنية في الفكر العربي الفلسفي، فإنّ ابن طفيل (٥٠٠هـ/١١٠٦م-٥٨١هـ/١١٨٥م) يحدثنا عن نشأة

---

[١٦] القرآن الكريم، سورة القصص، الآيات ٧-١٣.

حي بن يقظان في حكايته الفلسفية التي أراد أن يبرهن فيها على أن الإنسان من خلال التأمل والتفكر يمكن له الاهتداء إلى بناء حضارته والوصول من خلال تأمله إلى الإيمان بوجود الخالق والمبدع. ويهمنا من هذه القصة الفلسفية القسم الذي يرويه ابن طفيل في أولها عن رميه في صندوق ووصوله إلى جزيرة معزولة حيث تكفلت برضاعته إحدى الغزلان، وكان خوف الأم من اكتشاف حملها من زواجها السري هو الذي حملها على ما فعلت، قال ابن طفيل:

"إنه كان بإزاء تلك الجزيرة، جزيرة عظيمة متسعة الأكناف، كثيرة الفوائد، عامرة بالناس، يملكها رجل منهم شديد الأنفة والغيرة، وكانت له أخت ذات جمال وحسن باهر فعضلها، ومنعها الأزواج إذا لم يجد لها كفؤا.

وكان له قريب يسمى "يقظان" فتزوجها سرا على وجه جائز في مذهبهم المشهور في زمنهم، ثم إنها حملت منه ووضعت طفلا، فلما خافت أن يفتضح أمرها وينكشف سرها، وضعته في تابوت أحكمت زمه بعد أن أروته من الرضاع؛ وخرجت به في أول الليل في جملة من خدمها وثقاتها، إلى ساحل البحر، وقلبها يحترق صبابة به، وخوفا عليه، ثم إنها ودعته وقالت:

-"اللهم إنك خلقت هذا الطفل ولم يكن شيئا مذكورا، ورزقته في ظلمات الأحشاء، وتكفلت به حتى تم واستوى، وأنا قد سلمته إلى لطفك، ورجوت له فضلك، خوفا من هذا الملكَ الغشوم الجبار العنيد، فكن له، ولا تسلمه، يا أرحم الراحمين!".

ثم قذفت به في اليم، فصادف ذلك جري الماء بقوة المد، فاحتمله من ليلته إلى ساحل الجزيرة الأخرى المتقدم ذكرها، وكان المد يصل في ذلك الوقت إلى موضع لا يصل إليه بعد عام، فأدخله الماء بقوته إلى أجمة ملتفة الشجر عذبة التربة، مستورة عن الرياح والمطر، محجوبة عن الشمس تزاور عنها إذا طلعت، وتميل إذا غربت، ثم أخذ الماء في الجزر.

وبقي التابوت في ذلك الموضع، وعلت الرمال بهبوب الرياح، وتراكمت بعد ذلك حتى سدت مدخل الماء إلى تلك الأجمة. فكان المد لا ينتهي إليها، وكانت مسامير التابوت قد فلقت، وألواحه قد اضطربت عند رمي الماء إياه في تلك الأجمة.[١٧]

ولما اشتد الجوع بذلك الطفل بكى واستغاث وعالج الحركة، فوقع صوته في أذن ظبية فقدت طلاها، "خرج من كناسه فحمله العقاب، فلما سمعت الصوت ظنته ولدها". فتتبعت الصوت وهي تتخيل طلاها حتى وصلت إلى التابوت، ففحصت عنه بأظلافها وهو ينوء ويئن من داخله، حتى طار عن التابوت لوح من أعلاه. فحنت الظبية وحنت عليه ورئمت به، وألقمته حلمتها وأروته لبنا سائغا. وما زالت تتعهده وتربيه وتدفع عنه الأذى حتى كبر.

هذا ما كان من ابتداء أمره عند من ينكر التولد، ونحن نصف هنا كيف تربى وكيف انتقل في أحواله حتى يبلغ المبلغ العظيم."[١٨]

وبذلك تكون قصة الاختباء الفردي قد سافرت بعيدا جدا ما بين عهد سرجون الاكدي قبل ٢٣٣٤ ق.م والى حدود ١١٨٥ بعد الميلاد في قصة حي ابن يقظان لابن طفيل الأندلسي، وقطعت مدى بعيدا جدا من ذلك المصدر الأول الذي يبعد عن عصرنا بأكثر من ٤٥٠٠ سنة من هذا الزمن الطويل الذي يمثل عمر الإنسان الحضاري على هذه الأرض.

---

[١٧] حي بن يقظان: لابن طفيل، ص١٢١-١٢٢.

[١٨] المصدر نفسه، ص١٢١-١٢٣.


٢٨

الاختباء الجماعي قبل التاريخ

- سفينة نوح وحصان طروادة-

لدينا صورتان من الاختباء الجماعي، إحداهما جاءت من الشرق الأوسط من حضارة العراق القديم وقد ذكرتها التوراة وأكدها القرآن. والأخرى قد جاءت من الأدب الروماني مبنية على إلياذة هوميروس في القرن الأخير قبل الميلاد.

كتبت الصورة الأولى في سومر بعد ٣٢٠٠ ق.م أي بعد حدوث الطوفان والصورة الثانية التي ضمت إلى ملحمة كلكامش وردت في العهد الاكدي في بابل واحتمال أنها كتبت ما بين ٢٧٣١ و٢١٥٤ قبل الميلاد وهو الزمن الذي عاشته الدولة الاكدية.

أما الصورة الرومانية المبنية على الأصل اليوناني جاءت متأخرة جداً وكان بينها وبين الأصل السومري حوالي ٣٢٠٠ سنة أو ما يساوي ٣٢ قرناً من الزمان وهي فترة طويلة جداً.

الخلاف بين الصورتين أن الأولى جعلت مكان الاختباء سفينة تعوم على الماء والصورة الثانية جعلت مكان الاختباء حصاناً خشبياً عملاقاً يمشي على عجلات.

الغاية من كلتا الصورتين هو الخداع في صراع الحياة والبقاء أو خداع العدو.

فإذا عرفنا بأن الطوفان قد تسبب، لأن الآلهة قد غضبت على الإنسان - كما في الصورة السومرية والبابلية- الذي تكاثر فتكاثرت معه الآثام والصراعات والجرائم والغوغاء، وإن الشر الذي جاء إلى الإنسان من دم الشيطان (كنجو) الذي مزج بالطين الذي خلق من الإنسان قد أدى بالإنسان إلى

سلوك طريق الشر والإثم.[١٩] إلا أن أحد الآلهة وهو (أيا) كان قد نبّه أحد هؤلاء البشر وهو (أتراحاسس) الذي تحول اسمه إلى (أتونا بشتم) بعد أن أعطته الآلهة الخلود تمكن أن يقاوم غضب الآلهة وهزم الطبيعة التي أحالت البشر إلى طين وذلك من خلال بناء السفينة التي دخلها معه النساء والرجال والحيوانات الأليفة والوحشية ونقل إليها النباتات وبذورها.

فالفكرة فيها معنى حرب الإنسان مع الآلهة ومحاولة النجاة بالحياة الإنسانية والطبيعة من الدمار المطلق.

أما في حالة حصان طروادة التي جاءت في آخر مائة عام مما قبل التاريخ فتبدو إلى جانب قصة الطوفان باهتة ولعل أعظم ما فيها الحصان الخشبي الضخم. إلا أنها تدور على قتال البشر مع البشر في الوقت الذي كانت فيه القصة السومرية تتناول صراع الإنسان مع الآلهة.

والطوفان كما هو كأنه يشير إلى واقعة وقعت فعلاً بحيث شغلت - إضافة إلى الأدب السومري والأدب البابلي- الأديان السماوية. ونرى أن التوراة اعتمدت في توثيقها على الأدب البابلي الموجود لديهم في بابل حين وقعوا في الأسر لأن التشابه في الجزئيات كان كبيراً لا يدع للشك في هذا التأثر.

وفي حالة القرآن الكريم فإن القرآن قد أعلم العرب بأمر غيبي لم يعرفه العرب الذين نزل فيهم الإسلام وكانت حضارة سومر قد نسيت وحضارة بابل قد اندثرت. وإن الخبر القرآني يدل على مصداقية حدوث هذه الظاهرة الكونيّة المدمرة، فإذا كان موضوع الاختباء بسبب الحرب أو الدمار هو العقدة في قصة الطوفان فلا بد أن يكون الأثر البابلي أو العبري هو الذي وصل إلى فرجيل كاتب الإلياذة. فإن خبر حصان طروادة لم يكن موجوداً في إلياذة هوميروس، ولعل اليونان احتلوا طروادة بالمباغتة العسكرية بعد أن تظاهروا بالانسحاب. وظهرت فكرة حصان طروادة بعد ستة قرون من كتابة الإنياذة فلا شك في أن

---

(١٩) انجيل بابل، ص١٠٩.

فرجيل – مع ما رحل من تراث بابل إلى اليونان والرومان– لمح في قصة الطوفان ما يساعده على خلق أسطورة حصان طروادة التي تكون قد نمت ما بين كتابة الإلياذة لهوميروس وكتابة الإنياذة لفرجيل، فضمنها فِرجيل في كتابه. ونريد هنا أن نبدأ بصورة أقدم سفينة مائية اتخذت ملجأ لهرب الإنسان من غضب الآلهة ودمار الطبيعة.

إن الصورة الأولى موجودة في النصوص السومرية وخلاصتها أن الإله (أيا) كشفَ لأتراحاسس ما دار في مؤتمر الآلهة حول نيتهم دمار البشر وكان هذا الكشف قد جاءه على شكل حُلم، يترجم خزعل الماجِدي القصة ونقتبس منه هذا النص:

"**سفينة أتراحاسس**"

نهض أتراحاسس من حلمه خائفاً وذهب في اليوم التالي إلى معبد (أيا) وسأله عن حلم البارحة فقال أي ذا العين اللامعة:

– قد قلت ماذا عليّ أن أفعل، فعليك الانتباه إلى الخبر الذي سأقوله لكن يا جدارُ، استمع إليّ، يا جدارَ القصب، انتبه إلى كلماتي، هدَم بيتاً وابن سفينة، انبذ المال وأنقذ النفس واحمل في السفينة بذرة كل المخلوقات الحية، ابن سفينة كبيرة وليكن بناؤها كلياً من القصب واجعلها سفينة (ماكور أوكر) واسمها منقذة الحياة اضبط مقاييسها واجعل عرضها مساوياً لطولها واحكم غلقها مثل غلق الابسو.

– لقد فهمتُ قصدك يا سيّدي، إن ما أمرت به الآن سأتشرف بإنجازه ولكني يا سيدي لم أبنِ سفينة من قبل أبداً فارسم لي صورة على الأرض حتى أرى الصورة وأبني السفينة.

فرسم الإله الصورة على الأرض، وبعد سبعة أيام من العمل المتواصل استطاع أتراحاسس أن يبني السفينة فكانت مساحة قاعدتها (أريكو) واحداً وكان ارتفاع كل جدار فيها مائة وعشرين ذراعاً وطول كل من جانب سطحها مائة وعشرين ذراعاً، وهكذا حددت أبعادها وهيكلها، وجعل فيها ستة فواصل وبهذا

انقسمت إلى سبعة طوابق ثم قُسّمت أرضيتها إلى سبعة طوابق وتسعة أقسام وغرزت فيها مسامير الخشب لمنع الماء ثم وضع فيها أتراحاسس المؤن وسكب ستة (سارات) من القير في الكور، وسكب ُ غماً ثلاث سارات من الزفت وجاء حملة السلال بثلاث سارات من الزيت، واستنفذ سار واحد من الزيت في جسد السفينة وسارين اثنين من الزيت اختزنهما الملاح، وبعد أن انتهى أرتاحاسس من بناء السفينة أمره أيا قائلاً:

- ترقب الوقت، المحدد الذي سوف أخبرك عنه ثم ادخل السفينة وأغلق بابها، احمل فيها شعيرك وأمتعتك وأموالك وزوجتك وصاحبك وقريبك والعمال الماهرين، وإني سأرسل إليك حيوان السهل وكل حيوان وحشي يأكل العشب في السهل والطيور السماوية المجنحة واحمل في السفينة بذرة من كل المخلوقات الحية.

أرسل أتراحاسس عائلته على ظهر السفينة فأكلوا وشربوا، أما هو فقد كان يدخل ويخرج ولم يستطع أن يجلس."[٢٠]

ولا شك في أن اليهود بعد السبي قد قرأوا النص السومري والبابلي ونجد الخلاف بين النص البابلي والتوراة في اسم الشخص الذي أوكل إليه الإله (أيا) إنقاذ البشرية من غضب الآلهة.

ففي الأدب السومري كان اسمه (أترحاسس) ثم تحول إلى (أوتونابشتم) وفي الأدب البابلي كان اسمه الأول قد اختفى وبقي الاسم الثاني وهو الذي عرفه به كلكامش.

أما في الأديان السماوية في التوراة والقرآن فإن اسم هذا الشخص هو النبي نوح وقد ذكرت التوراة الطوفان في سفر التكوين وقد يكون أن الله قد أوحى فكرة الطوفان إلى موسى أو غيره من أنبياء اليهود عبرة لهم. ولكن شراح التوراة بالغوا في شرح هذه الفكرة فبالغوا في النقل عن الآداب التي ذكرتها

---

[٢٠] أنجيل بابل، ص١٧٦ و ص١٧٧.

فجاء الموضوع وكأنه يبدو نقلاً حرفياً مباشراً عن أدب أجنبي فضاعت القصة الموحاة في تضاعيف القصة الأدبية التي ذكرها السومريون ثم البابليون ما بين ٣٢٠٠ ق.م و٢١٥٤ وسجلوها في الألواح الطينية عبرة وذكرى لذلك الحدث الكوني العظيم.

وسوف نعطي هنا النص التوراتي لإظهار الشبه بين النص العراقي والنص اليهودي نقلاً عن سفر التكوين أول أسفار التوراة:

الطوفان في التوراة:

نوح يصنع فلكاً:

وهذا سجل مواليد نوح: كان نوح صالحاً كاملاً في زمانه، وسار نوح مع الله. وأنجب نوح ثلاثة أبناء هم سام وحام ويافث. وإذ ساد الشر الأرض أمام الله وعمّها الظلم، نظر الله وإذا بها فاسدة لأنّ كل بشر على الأرض قد سلك في طريق الإثم.

فقال الله لنوح: "قد أزفت نهاية البشر جميعاً أمامي، لأنهم ملأوا الأرض ظلماً. لذلك سأبيدهم مع الأرض. ابن لك فُلكاً من خشب السرو، واجعل فيه غرفاً تطليها بالزفت من الداخل والخارج. اصنعه على هذا المثال: ليكن طوله ثلاث مئة ذراع (نحو مئة وخمسة وثلاثين متراً)، وعرضه خمسين ذراعاً (نحو اثنين وعشرين متراً ونصف المتر) وارتفاعه ثلاثين ذراعاً (نحو ثلاثة عشر متراً ونصف المتر). واجعل له نافذة على انخفاض ذراع (نحو خمسة وأربعين سنتمتراً) من السقف، وباباً تقيمه في جانبه. وليكن للفلك طوابق سفلية ومتوسطة وعلوية. فها أنا أغرق الأرض بطوفان من المياه لأبيد كل كائن حي فيها ممن تحت السماء. كل ما على الأرض لا بد أن يموت.

ولكني سأقيم معك عهداً، فتدخل أنت مع بنيك وامرأتك ونساء بنيك إلى الفلك. وتأخذ معك في الفلك زوجين، ذكراً وأنثى، من كل كائن حي ذي جسد،

لاستبقائها معك. تدخل معك اثنين من كل صنف من أصناف الطيور والبهائم والزواحف على الأرض، حفاظاً على استمرار بقائها.

وتدّخر لنفسك من كل طعام يؤكل وتخزنه عندك ليكون لك ولها غذاء". وفعل نوح تماماً بمقتضى كل ما أمر الرب به.

الأمر بملء الفلك

وقال الرب لنوح: "هيّا ادخل أنت وأهل بيتك جميعاً إلى الفلك لإني وجدتك وحدك صالحاً أمامي في هذا الجيل. خذ معك من كل نوع من الحيوانات الطاهرة سبعة ذكور وسبع إناث، وزوجين ذكراً وأنثى من كل نوع من الحيوانات الأخرى غير الطاهرة. وخذ معك أيضاً من كل نوع من الطيور سبعة ذكور وسبع إناث لاستبقاء نسلها على وجه كل الأرض. فإني بعد سبعة أيام أُمطر على الأرض أربعين يوماً، ليلاً ونهاراً، فأمحو عن وجه الأرض كل مخلوق حي". وفعل نوح بموجب كل ما أمره الربّ به.

وكان عمر نوح ست مئة سنة عندما حدث طوفان الماء على الأرض. فدخل نوح إلى الفلك مع زوجته وأبنائه وزوجاتهم (لينجوا) من مياه الطوفان. وكذلك الحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة، والطيور والزواحف، دخلت مع نوح إلى الفلك زوجين زوجين، ذكرَاً وأنثى، كما أمر الله نوحاً.

الطوفان

وما أن انقضت الأيام السبعة حتى فاضت المياه على الأرض ففي سنة ستّ مئة من عمر نوح، في الشهر الثاني، في اليوم السابع عشر منه، تفجرت المياه اللجج العميقة في باطن الأرض، وهطلت أمطار السماء الغزيرة، واستمر هذا الطوفان على الأرض ليلاً ونهاراً مدة أربعين يوماً. في ذلك اليوم الذي بدأ فيه

الطوفان دخل نوح وزوجته وأبناؤه سام وحام ويافث وزوجاتهم الثلاث إلى الفلك.

ودخل معهم أيضا من الوحوش والبهائم والزواحف والطيور وذوات الأجنحة كل حسب أصنافها؛ من جميع المخلوقات الحية أقبلت إلى الفلك، ودخلت مع نوح زوجين زوجين ذكرا وأنثى دخلت، من كل ذي جسد، كما أمره الله. ثم أغلق الرب عليه باب الفلك.

ودام الطوفان أربعين يوما على الأرض، وطغت المياه ورفعت الفلك فوق الأرض، وتكاثرت المياه على الأرض وطغت جدا، فكان الفلك يطفو فوق المياه.

وتعاظمت المياه فوق الأرض حتى أغرقت جميع الجبال العالية التي تحت السماء كلها، وبلغ ارتفاعها خمس عشرة ذراعا (نحو سبعة أمتار) عن أعلى الجبال، فمات كل كائن حي يتحرك على الأرض من طيور وبهائم ووحوش وزواحف وكل بشر مات، كل ما يحيا ويتنفس على اليابسة. وباد من على سطح الأرض كل كائن حي سواء من الناس أو البهائم أم الزواحف أم الطيور، كلها أبيدت من الأرض، ولم يبق سوى نوح ومن معه في الفلك. وظلت المياه طافية على الأرض مدة مئة وخمسين يوما.

تناقص المياه

ثم افتقد الله نوحا وما معه في الفلك من وحوش وبهائم، فأرسل ريحا على الأرض فتقلصت المياه وانسدت ينابيع اللجج وميازيب السماء، واحتبس المطر. وتراجعت المياه عن الأرض تدريجيا. وبعد مئة وخمسين يوما نقصت المياه. واستقر الفلك على جبال أراراط في اليوم السابع عشر من الشهر السابع للطوفان. وظلت المياه تتناقص تدريجيا حتى الشهر العاشر. وفي اليوم الأول من الشهر العاشر بدت قمم الجبال.[٢١]

---

(٢١) العهد القديم، سفر التكوين، ص (٨-٩).

وكما قلنا من قبل أن حدث الطوفان العظيم قد شغل الفكر الأدبي القديم كما اهتمت به الأديان السماوية.

وقد أخبر القرآن بهذا الخبر الغيبي الذي لم يعرفه العرب ولا سمعوا به في صحرائهم المعزولة عن المؤثرات الحضارية القديمة التي كانت قد اندثرت إعجازاً وترهيباً وإظهاراً لحكمة الله سبحانه في إبقاء الإنسان المؤمن وعقاب الإنسان الكافر حين ينسى الشرائع وينكر الخالق.

وتتميز القصة في القرآن وقد وردت في أكثر من سورة بالإيجاز والإبداع والجمالية وهذه أمور تفتقدها التوراة التي تأثرت بأسلوب القص في الأدب العراقي القديم المغرم بالتفصيلات الزائدة عن الحاجة التي لا ضرورة لها وكان هذا الوصف المعجز إحدى دلائل إعجاز القرآن وسوف نأخذ النص القرآني في سورة هود، وهو الذي تناول بناء السفينة وإنقاذ الإنسان الصالح والحيوان في سبيل إعادة إنشاء مجتمع نظيف بعد القضاء على الشر والفساد.

وإن القرآن في إيجاز إبداعي، وما بين الآية ٣٧ والآية ٤٥ يعطينا الفكرة التي انطوى خلفها موضوع الطوفان والأمر الذي تلقاء نوح عليه السلام لإنقاذ البشر الصالحين من مصير الدمار بالغرق.

قال سبحانه:

﴿ واصنع الفلك بأعيننا َووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون(٣٧) ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأٌ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنّا نسخر منكم كما تسخرون(٣٨) فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم(٣٩) حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل(٤٠) وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم(٤١) وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين(٤٢) قال سآوّي إلى جبل يعصمني من

الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهم الموج فكان من المغرقين(٤٣) وقيل يأرض ابلعي مآءك ويا سمآء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين(٤٤) ونادى نوح ربه فقال ربّ إن ابني من أهلي وإنّ وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين(٤٥)﴾[٢٢]

وكما قلنا فإن المقارنة لا يمكن أن تتم بين أداة الاختباء في الأدب البابلي والكتب المقدسة وأداة الاختباء في الأدب الروماني المعتمد في الحكاية على الأدب اليوناني وإلياذة هوميروس. فإن ضخامة السفينة وطبقاتها ومقدار ما حملت يبدو أكبر من شكل حصان طروادة بكثير.

كما أن البواعث قد اختلفت في الاختبائين. فالغاية من الاختباء الأول هو إنقاذ الإنسان والحيوان والنبات من الدمار وفي الكتب السماوية إنقاذ الإنسان الصالح لبناء مجتمع متكامل وتقنين أعرافاً خيرة لتسود في المجتمع الجديد بعد الطوفان.

أما في قصة فرجيل في الإنياذة فعلى العكس سببه رغبة الانتصار على العدو وقتله وتدمير مدنيّة متحضرة فالقصة تقوم على القسوة والقتل وشعارها الموت والحرق.

أفاد فرجيل الذي عاش بين (٧٠-١٩ ق.م) كما قلنا من التراث الشرقي القديم القادم عن طريق العراق (الطوفان) و(قصة سرجون) أو عن طريق مصر (قصة موسى) ولعله أفاد من أسطورة شعبية يونانية نمت ما بين نظم هوميروس الإلياذة في القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد حتى زمن كتابة فرجيل للإنياذة في القرن الأخير قبل التاريخ.

ونرى فعلاً أن الخيال الشعبي اليوناني مستعيناً - بالتراث الأجنبي - هو الذي خلق أسطورة الحصان الخشبي قصةً شعبية فأدخلها فرجيل في كتابه. إن السبب الذي يدعونا إلى هذا الاعتقاد هو ميل اليونانيين إلى تضخيم الأحداث

---

[٢٢] سورة هود، الآيات (٣٧-٤٥).

وخلق الشخصيات الخرافية الضخمة كما نرى في الأوديسا في قصة الغـول ذي العين الواحدة الذي كان أضخم من البشر الاعتيادي عشرات المرات والذي قتلـه يوليسيس والذي انتقل إلى العرب فظهر في إحدى قصص السندباد.

ومهما كانت هذه الصورة الضخمة لصورة الحصان فإنها تبقى في جذرهـا فكرة أدبية شرقية من حيث اتخاذ الحصان الخشبي مخبأ. فالحكاية الشرقية كانت قد اتخذت سفينة نوح مخبأ، واتخذ صندوق سرجون الأك٩دي وموسى العـبري مخبأ لهما أيضا.

وننقل هنا قصة حصان طروادة كما ورد في إحدى ترجمات الإنياذة:

الحصان الخشبي

حاصر الملك أغاممنون ورجال الإغريق مدينة طروادة عشر سنوات، ومـع أن القضاء سبق في الحكم عليها، فقد تأخر يوم سـقوطها، إذ أولاهـا بعـض الأرباب حبا عظيما، ودافعوا عنها دفاعا صادقا مثل أفلون ومارس إله الحـرب بل جوبيتر أبي الخلق ذاته. ولذا ألقت مينرفا في روع أفيوس سـيد الجـزر أن يقوم بصنع مكيدة ماهرة يستولي بها على المدينة. وكانت المكيدة كما يلي: لقـد صنع حصانا عظيما من الخشب زاعما أنه تقدمة سلام إلى مينرفا لكـي تمنـح الإغريق عودا حميدا إلى بلادهم. وهنالك في بطن الحصان اختبأت نخبة مـن أبسل زعمائهم مثل مانيلا وأوذيس وثواس الاتولي. وماخرون، الطيب العظيـم، وفيروس بن أخيل (أما أخيل نفسه، فكان قد قتل بيد فاريس بمعونة أفلونٍ وهـو على وشك الاستيلاء على المدينة) وغيرهم، واختبأ معهم أفيوس ذاته، وتظـاهر الباقون بالاتجار إلى بلادهم، ولكنهم لم يتخطوا تنذوس، تلك الجزيرة القريبة من الشاطئ.

وعم طروادة الفرَح العظيم حينما لغط القوم فيها بخبر إبحـار الإغريـق. ففتحت الأبواب، وخرج منها الناس لرؤية الميدان، والعسكر يقول أحدهم للآخر: "هنا احتدمت المعركة، وهناك كانت خيم أخيل الشرس، وهنالك كـانت ترسـو

السفن". ووقف البعض مشدوهاً برؤية الحصان الخشبي الذي جعل لمينرفا تقدمة عظيمة من أجل السلم. وكان تيموتيس، وهو من أكبر رجال المدينة سناً أول من أشار بإدخال الحصان داخل الأسوار ووضعه في القلعة. ولكن هل قـام بـهذه النصيحة وهو يضمر السوء في قلبه، أم أرادته عليها الأرباب؟ هذا ما لا يعلمـه بشر. ولكن كافيس وسواه معه أجمعوا على وجوب إغراق الحصان في المـاء، أو إحراقه بالنار أو أن يقوم الرجال بثقبه، ورؤية ما قد يكون في جوفه. وانقسم القوم يجهر أحدهم برأي ويأخذ الآخر بسواه.

عندها تقدم الكاهن لاخاوون يصحبه جمع كبير وصرخ قائلاً: "أي حمق هذا الذي فيه تختصمون؟ أتظنون أن رجال الإغريق قد أبحروا حقاً، أم تظنـون أن هنالك أي نفع من عطاياهم؟ لا ريب في أن هذا الحصان الجبار يحمل الرجـال المسلحين في أحشائه. بل لعلهم صنعوه، لكي ينظروا منه إلى أسوارنا من عـل. فلا تمسوه لأنني أخشى هؤلاء الإغريق، ولو حملوا إلينا العطاء بأيديهم".

قال هذا، ورمى الحصان برمحه العظيم فرنّ رجع الصوت، ولكن مشـيئة الأرباب لم تقض بنجاة طروادة.[٢٣]

وقد وردت القصة في الإنياذة موجزة لم تشر إلى ضخامـة الدمـار الـذي أحدثه الجنود الذين اختبأوا في ذلك الحصان المشؤوم الذي أدخله الطرواديـون إلى مدينتهم بعد أن اقترح العقلاء عليهم رمي الحصان في البحر أو إحراقه.

ولكنّ الذي قدّر للمدينة كان يجب أن يقع وكما قال فرجيل في الإنياذة "ولكن مشيئة الأرباب لم تقض بنجاة طروادة".

ولكي نعرف الفرق بين الصورتين الشرقية والرومانية للهدف مـن بنـاء السفينة والهدف من بناء الحصان والفرق بين هدف أم سرجون وأم موسى فـي إنقاذ حياة الطفل والهدف من بناء الحصان الذي صمم للغزو لقتل الرجل والمرأة

---

[٢٣] الإنياذة: فرجيل. نقلتها إلى العربية عنبرة سلام الخالدي. دار العلم للملاييـن، بـيروت، ط٤، ١٩٨٥، ص١١-١٣.

والطفل. علينا أن ننظر فيما كتبه الأوربيون المحدثون الذين شرحوا الإنياذة وكتبوا تاريخ هذا الحدث المروع الذي قضى على حضارة وقضى على أمة. يحدثنا أ. أ. نيهاردت عن ذلك في كتابه "الملحمة الإغريقية القديمة" قال:

سقوط طروادة:

ومع هذا فلم يستطع الإغريق الاستيلاء على المدينة، وحينذاك اقترح أوديسيوس اللجوء إلى الحيلة، فنصح ببناء حصان خشبي ضخم، يستطيع أن يختبئ في جوفه أقوى أبطال اليونان، أما القوات الباقية فتبحر كلها، مبتعدة عن طروادة، وتختبئ خلف جزيرة تينيدوس. وسيقوم الطرواديون بجر الحصان إلى المدينة، وفي الليل يخرج المقاتلون من جوفه، ويفتحون أبواب المدينة للإغريق العائدين خفية. وراح أوديسيوس يؤكد أن هذا الأسلوب هو وحده الكفيل بالاستيلاء على طروادة.

وبدوره راح العراف كالخاس، الذي تلقى علامة زوس، يحاول إقناع اليونانيين باللجوء إلى المكر. أخيراً وافق اليونانيون على اقتراح أوديسيوس. قام الفنان الشهير إيبيوس وتلميذه، تساعدهما الربة أثينا بالاس ببناء حصان خشبي ضخم. وقد مليء جوف الحصان بالمقاتلين المدججين بالسلاح. وأغلق إيبيوس الشق الذي دخل منه المقاتلون بشكل متقن، بحيث لا يخطر بالبال أبداً أن المقاتلين موجودون داخل الحصان، ومن ثم أحرق اليونانيون كل الأبنية في معسكرهم. وركبوا مراكبهم، وانطلقوا إلى عرض البحر.

من على أسوار طروادة العالية رأى المحاصرون حركة غير عادية في معسكر اليونانيين. ولفترة طويلة لم يعرفوا ماذا يجري هناك. وفجأة رأوا – والدنيا لا تسعهم من فرط السرور، أن أعمدة الدخان الكثيفة ترتفع فوق معسكر اليونانيين، وأدركوا أن اليونانيين قد غادروا أرض طروادة. خرج الطرواديون جميعاً من المدينة فرحين، واتجهوا إلى المعسكر. كان المعسكر مهجوراً بالفعل،

وكانت الأبنية لا تزال تحترق هنا وهناك. وبكل فضول راح الطرواديون يجوبون تلك الأماكن التي كانت تقوم فيها حتى عهد قريب خيام أخيل، أغاممنون مينيلاوس وغيرهم، ومن الأبطال، كانوا واثقين أن الحصار قدِ انتهى، وأن كل المحن والأرزاء قد ولت.

وفجأة توقف الطرواديون ذاهلين إذ رأوا الحصان الخشبي. كان الطرواديون يتأملونه وهم في حيرة من أمر هذا البناء الرائع. بعضهم نصح بأن يلقى به في البحر ــ أماُ البعض الآخر فقد نصح بجره إلى المدينة، ووضعه على الأوكروبل. بدأ الجدل، وهنا ظهر أمام الطرواديين، لاوكون، كاهنِ الإله أبولون، وقد راح يحث مواطنيه بكل حماسة على تدمير الحصان. كان لاوكون على ثقة أن هذه إحدى مكائد أوديسيوس الحربية. لم يصدق لاوكون للطرواديين أن لا يأمنوا جانب الحصان. كان لاوكون يخاف الإغريق، وقد تناول رمحاً ضخماً ورمى الحصان به، فاهتز الحصان من شدة الضربة، وأطلق السلاح في داخله رنيناً خافتاً. لكن الآلهة أعموا بصيرة الطرواديين، فلم يسمعوا رنين السلاح، وقرروا جر الحصانِ إلى المدينة.

وبينما كان الطرواديون يقفون من حول الحصان أحضر الرعاة أسيراً شد وثاقه. إنه اليوناني سينون، وقد راح يشكو، وهو يذرف الدموع، من مصيره.[٢٤]

كان اليونانيون جالسين في جوف الحصان في صمت مطبق، وقد تحولوا إلى آذان مرهفة، لتلقف كل صوت يأتي من الخارج. وقد سمعوا هيلين الحسناء، وهي تناديهم بأسمائهم، مقلدة أصوات زوجاتهم، وبالكاد استطاع أوديسيوس منع أحد الأبطال من الرد عليها. بأن كم فمه. كما سمع اليونانيون هتافات الفرح، التي أطلقها الطرواديون، وصخب الاحتفالات المرحة بمناسبة انتهاء الحصار. أخيراً حل الليل وهدأ كل شيء، وغطت طروادة في سبات عميق. وعند

---

(٢٤) الملحمة الإغريقية القديمة: أ. إ. نيهاردت، ترجمة هشام حمادي، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٩٤، ص١٥٠-١٥٢.

الحصان الخشبي سمع صوت سينون، لقد أعطى للمقاتلين الإشارة بأن بإمكانهم أن يخرجوا.

وقد تمكن سينون من إقامة محرقة كبيرة عند بوابة طروادة، كإشارة لليونانيين المختبئين خلف تندوس، لكي يسرعوا بدخول المدينة. خرج اليونانيون من الحصان بهدوء، محاذرين إحداث ضجة، وكان أوديسيوس وايبييوس أول الخارجين. انتشر المقاتلون في دروب المدينة النائمة، واشتعلت النار في البيوت، في الوقت الذي اقتحمت فيه القوات اليونانية المدينة عبر الثغرة. بدأت المعركة الهائلة. كان الطرواديون يدافعون عن أنفسهم بكل ما تيسر لهم، كانوا يرمون اليونانيين بالجمر، بالطاولات، بسقط المتاع، ويقاتلون بالسفود، التي كانوا قد استخدموها لتوهم في شي اللحوم للمأدبة. لم يرحم اليونانيون أحداً. وكان الطرواديون يدافعون ببطولة اليائس. وازدادت ضراوة الاقتحام لدى اليونانيين. كسر نيوبتوليم بوابة القصر بالبلطة، وكان أول من اقتحمه. امتلأ قصر بريام بنحيب النساء والأطفال، ولدى مذبح الآلهة اجتمعت بنات بريام وزوجات أبنائه، ظناً منهن أن المذبح سيحميهن. وأراد بريام، المسربل بالدروع، أن يدافع عنهن، أو يسقط في القتال، لكن هيكوب راحت تتوسل إلى الملك الكهل، أن يبحث عن الحماية عند المذبح، وبطعنة من رمحه جندل نيوبتوليم بوليتوس على الأرض عند أقدام أبيه. رمى بريام نَيوبتوليم برمحه، لكن ارتد - كالعصا الخفيفة- عن دروع ابن أخيل. وفي ثورة غضبه أمسك نيوبتوليم ببريام من شعره السائب، وطعنه بسيفه في صدره. مات بريام في القصر الذي عاش فيه سنوات عديدة يحكم طروادة العظيمة. ولم ينج أحد من أبنائه حتى حفيده، أستياناكوس، ابن هكتور. انتزع من أحضان أندروماك المسكينة، وألقي به من فوق أسوار طروادة. وكان مينيلاوس قد همّ من شدة غضبه بقتل هيلين الحسناء، لكن أغاممنون حال بينه وبين ذلك. ومن جديد أيقظت الربة أفروديت حب هيلين في صدر مينيلاوس، وهكذا فقد قادها بكل مهابة باتجاه مركبه.

حاولت العرافة كاسندره، إبنة بريام، اللجوء إلى معبد أثينا بالاس. وارتمت على تمثال أثينا، واحتضنته بيديها. لكن أجاكس أمسك بها بفضاضة، وجذبها بقوة بعيداً عن التمثال، لدرجة أن التمثال المقدس سقط على أرض المعبد، وتحطم. غضب اليونانيون من أجاكس، كما غضبت منه الربة العظيمة، وفيما بعد كان انتقامها من أجاكس على هذا قاسياً.(٢٥)

لم ينج من جميع أبطال طروادة سوى أينياس، الذي حمل من طروادة على يديه أباه العجوز أنخيس وابنه الصغير اسكاني. كما عفا اليونانيون عن البطل الطروادي أنتينور لأنه كان ينصح الطرواديين باستمرار أن يعيدوا لليونانيين هيلين الحسناء، والكنوز التي نهبها باريس إلى مينيلاوس.

ظلت النيران مشتعلة في طروادة لفترة طويلة، وكانت أعمدة الدخان تصل إلى عنان السماء، وكان حريق طروادة يشاهد من بعيد. وقد عرفت الأقوام المجاورة من أعمدة الدخان ومن الحريق الكبير ليلاً بسقوط طروادة، التي ظلت لفترة طويلة المدينة الأقوى في آسيا.(٢٦)

وبذلك تكون الفكرة الجماعية في الاختباء قد وصلت إلى نهايتها في أدب ما قبل التاريخ. حيث نشأت نواتها في سومر وبابل وانتقلت إلى اليونان والرومان مع ما انتقل من علم ودين وأدب كما نفصّل ذلك في القسم السابع من هذا البحث.

---

(٢٥) المصدر نفسه، ص١٥٣-١٥٤.

(٢٦) المصدر نفسه، ص١٥٤.

الاختباء الجماعي بعد التاريخ

من الأسطورة إلى النص التاريخي

وحين نتتبع الأثر الأسطوري لحكايات ما قبل التاريخ في الاختباء الجماعي نلتقي أسطورة عربية يكون دافعها الحرب والقتل وهي قصة الزباء وجذيمة الأبرش، وانتقام قصير مستشاره من الزباء بإدخال الجنود إلى تدمر ومقتل الملكة على يديه.

نقول إنها أسطورة على الرغم من أن شخصياتها تاريخية، فإن الزباء وجذيمة الأبرش شخصيتان تاريخيتان. حكمت الزباء في تدمر وحكم جذيمة الأبرش في الحيرة، وقد قتل جذيمة أباها ثم عرض عليها الزواج فأظهرت الموافقة، وأخفت الكيد والغدر بالملك حين يصل إلى أراضيها، وقد عارض قصير رغبة جذيمة في الذهاب إلى الزباء، ولكن جذيمة غلبه طمعه في ملكها، وشبقه في الوصول إلى الملكة الأنثى.

وقد أسرت الزباء الملك وأعدت له مجلساً قطعت فيه رواهشه حتى سال دمه كله فمات. وهناك يتدخل قصير في التدبير لقتل الملكة والانتقام من الزباء، مما حدا به إلى جدع أنفه ليظهر لها أن الذي خلف جذيمة، وهو عمرو بن عدي صنع به ذلك، لاتهامه بأنه لم ينصح للملك، وتركه يُقتل وهرب هو ناجياً بنفسه.

قلنا أن الحكاية أسطورة رغم شخصياتها التاريخية لأننا نعرف أن الزباء التي حكمت في تدمر (بالميريا) كما تدعوها المصادر الرومانية قد حاربها أورليان الامبراطور الروماني الذي عاش ما بين (٢١٥-٢٧٥) بعد الميلاد[٢٧] وأخذها أسيرة إلى روما.

---

[٢٧] معجم وبستر، ملحق الأسماء، ١٩٩٧، ص١٤٤٠.

وإذا كان ما حدث لجذيمة حقيقة تاريخية فإن خبر قصير لها يعد من باب الخرافة التاريخية. إلا أن الخدعة الحربية التي استخدمها قصير تعتمد على فكرة الاختباء وذلك بأنه أخفى الرجال في الغرائر، وهي العدول بحيث حمل كل رجلين على بعير وأوهمها أن ما يحمله معها في قطار الإبل إنما هي التجارة التي وعد بجلبها لها من العراق.[٢٨]

والسؤال الذي نسأله هنا عن مصدر فكرة الاختباء من أين جاءت لقصير؟ اعتقد أن الجواب الذي يكون أقرب إلى روح العلم هو: أن الفكرة قد جاءت من تراث بابل والحيرة، من المدن القريبة إلى مدينة بابل، ولا شك في الأساطير البابلية كانت معروفة لسكان الحيرة، إمّا من خلال الترجمة إلى الفهلوية أو من خلال التوراة؛ فإن المسيحية كانت منتشرة في الحيرة والعهد القديم كان بيد المسيحيين كما كان بيد اليهود.

وهذه هي القصة العربية من وقت تصميم قصير على الانتقام من الزباء برواية الميداني، وهو من رجال مطلع القرن السادس الهجري. قال:

فقال قصير لعمرو بن عدي: اجدع أنفي، واضرب ظهري، ودعني وإياها، فقال عمرو: ما أنا بفاعل، وما أنت لذلك مستحقاً عندي، فقال قصير: خلّ عني إذن وخلاك ذم، فذهبت مثلاً، فقال له عمرو: فأنت أبصر، فجدع قصير أنفه، وأثر آثاراً بظهره، فقالت العرب: لمكرٍ ما جدع قصير أنفه، وفي ذلك يقول المتلمس:

وفي طلب الأوتار ما حزّ أنفَهُ

قصيرٌ، ورام الموت بالسيف بيهس

ثم خرج قصير كأنه هارب، وأظهر أن عمراً فعل ذلك به، وأنه زعم أنّه مكر بخاله جذيمة وَغره من الزباء، فسار قصير حتى قدم على الزباء، فقيل لها: إن قصيراً بالباب، فأمرت به فأدخل عليها، فإذا أنفه قد جُدع وظهره قد ضُرب،

---

[٢٨] مجمع الأمثال: للميداني (ت ٥١٨ هـ)، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨، ص٣٠١-٣٠٥.

فقالت: ما الذي أرى بك، يا قصير؟ قال: زعم عمرو أني قد غررت خاله، وزينت له المصير إليك، وغششته، ومالأتك ففعل بي ما ترين، فأقبلتُ إليك وعرفتُ أني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك، فأكرمتْهُ وأصابت عنده من الحزم والرأي ما أرادت، فلما عرف أنها استرسلت إليه ووثقت به قال: إن لي بالعراق أموالاً كثيرة، وطرائف وثياباً وعطراً، فابعثيني إلى العراق لأحمل مالي وأحمل إليك من بزورها وطرائفها وثيابها وطيبها، وتصيبين في ذلك أرباحاً عظاماً. وبعض ما لا غنى بالملوك عنه، وكان أكثر ما يطرفها من التمر الصرَّفانَ، وكان يعجبها، فلم يزل يزين ذلك حتى أذنتِ له، ودفعت إليه أموالاً وجهّزت معه عبيداً، فسار قصير بما دفعت إليه حتى قدم العراق وأتي الحيرة متنكراً، فدخل على عمرو فأخبره الخبر، وقال: جهّزني بصنوف البز والأمتعة لعل الله يمكن من الزباء فتصيبَ ثأرك، وتقتلَ عدوك، فأعطاء حاجته، فرجع بذلك إلى الزباء، فأعجبها ما رأت وسرّها، وازدادت به ثقة، وجهزته ثانية فسار حتى قدم على عمرو فجهزه وعاد إليها، ثم عاد الثالثةَ وقال لعمرو: اجمع لي ثقاتِ أصحابك وهيّء الغرائر والمسوح واحمل كل رجلين على بعير في غرارتين، فإذا دخلوا مدينةَ الزباء، أقمتك على باب نفقها، وخرجت الرجال من الغرائر، فصاحوا بأهل المدينة، فمن قاتلهم قتلوه، وإن أقبلت الزباء تريد النفق جللتها بالسيف، ففعل عمرو ذلك، وحمل الرجال في الغرائر بالسلاح وسار يكمن النهار ويسير الليل، فلما صار قريباً من مدينتها تقدم قصير، فبشرها وأعلمها بما جاء من المتاع والطرائف، وقال لها: آخر البز على القلوص، فأرسلها مثلاً، وسألها أن تخرج فتنظر إلى ما جاء به، وقال لها: جئت بما صاء وصمت، فذهبت مثلاً، ثم خرجت الزباء فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض من ثقل أحمالها، فقالت: يا قصير:

ما للجمال مشيها وئيدا

أجندلاً يحملن أم حديدا

أم صرَفاناً تارزاً شديدا

فقال قصير في نفسه:

بل الرجالَ قبّضاً قعودا

فدخلت الإبل المدينة، حتى كان آخرها بعيراً مرّ على بواب المدينة وكان بيده منخسة فنخس بها الغرارة فأصابت خاصرة الرجل الذي فيها، فضرط، فقال البواب بالرومية بشنب ساقاً، يقول: شرّ في الجوالق، فأرسلها مثلاً، فلما توسطت الإبل المدينة أنيخت ودل قصير عمراً على باب النفق الذي كانت الزباء تدخله، وأرته إياه قبل ذلك، وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح، وقام عمرو على باب النفق، وأقبلت الزباء تريد النفق، فأبصرت عمراً فعرفته بالصورة التي صورت لها، فمصت خاتمها وكان فيه السم، وقالت: بيدي لا بيد ابن عدي، فذهبت كلمتها مثلاً، وتلقاها عمرو فجللها بالسيف وقتلها، وأصاب ما أصاب من المدينة وأهلها، وانكفأ راجعاً إلى العراق.

وفي بعض الروايات مكان قولها أدأب عروس ترى "أشوار عروس ترى؟" فقال: جذيمة "أرى دأب فاجرة غدور بظراء تفلة".

قالت: لا من عدم مواسٍ، ولا من قلة أواس، ولكن شيمة من أناس، فذهبت مثلاً.[٢٩]

والذي يهمنا هنا هو قدرة الفكر العربي على استيعاب التراث القديم وتطوير فكرة الاختباء وتوحيد فكرة الاختباء (الفردي – الجماعي) في قصة واحدة حيث اختفى كل رجلين في غرارتين على جمل مفرد وهذا اختباء فردي ثم أن مجموع القافلة بمجموع من فيها من الرجال هو اختباء جماعي. فإن قطار الإبل يشبه حصان طروادة أو سفينة أتراحاسس.

---

[٢٩] مجمع الأمثال، الميداني، ص٣٠٣-٣٠٥.

وترد في كتاب الأذكياء لابن الجوزي وهو من رجال القرن السادس، حكاية أخرى لاختفاء الجنود في توابيت، كل رجل في تابوت مع سلاحه لغرض احتلال احدى المدن، روى ابن الجوزي ذلك:

((وقد روينا أن ملكاً كان يقال له شمر ذو الجناح سار إلى سمرقند، فحاصرها، فلم يظفر منها بشيء، فطاف حولها بالحرس، فأخذ رجلاً من أهلها، فاستمال قلبه وسأله عن المدينة، فقال: أما ملكها فأحمق الناس ليس له هم إلا الشراب والأكل والجماع، ولكن له بنت هي التي تقضي أمر الناس، فبعث منه هدية إليها، وقال أخبرها إني لم أجيء لالتماس المال، فإن معي من المال أربعة آلاف تابوت ذهباً وفضة، وأنا دافعها إليها وأمضي إلى الصين، فإن كانت لي الأرض كانت امرأتي، وإن هلكت كان المال لها، فلما بلغتها رسالته قالت: قد أجبته فليبعث بالمال، فأرسل إليها أربعة آلاف تابوت في كل تابوت فارس، وجعل شمّر العلامة بينه وبينهم ان يضرب بالجلجل، فلما صاروا في المدينة ضرب بالجلجل، فخرجوا فأخذوا الأبواب، ونهض شمر في الناس، فدخل المدينة، فقتل أهلها وحوى ما فيها، ثم سار إلى الصين)).(٣٠)

والى نهاية هذه القصة فما زلنا في إطار الأسطورة أو الحكاية غير التاريخية، فهذه الحكاية التي ذكرها ابن الجوزي تنتسب إلى غزوات ملوك اليمن الأسطورية في آسيا الوسطى، وهذه أخبار عدّها ابن خلدون من باب الأساطير والقصص والحكايات، فقد نقلت أخبار عن غزو ملوك اليمن شرق آسيا ونقلت أخبار أخرى عن غزوهم شمال إفريقيا وكلها أخبار رفضها ابن خلدون ولم يوثقها وقد أنكرها وجودها في مقدمته.(٣١)

---

(٣٠) كتاب الأذكياء، لابن الجوزي، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨، ص١٥٥.

(٣١) مقدمة ابن خلدون، ط، درويش الحديدي، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥من ص١٩.

ولكن هذه الأساطير تحققت على أرض الواقع التاريخي في فتوحات العرب في بلاد الشام، والفكرة التي طرحها القائد العربي أبو عبيدة في فتح مدينة (الرستن) لا بد أنها متأثرة بإحدى هذه الأساطير والقصص مما روي فيها قبل التاريخ أو بعده، ولعل الطريقة أو فكرة الاختباء قد أوحى إليه بعض أهل الكتاب من ذوي الأصول العربية الذين كانوا على اطلاع على تاريخ العراق القديم أو التوراة:

ذكر فتح الرستن

((... (قال الواقدي) وسار الأمير أبو عبيدة بالعسكر حتى نزل على الرستن فرآها حصناً منيعاً وماؤها غزير وهي مشحونة بالرجال، والعدد العديد فبعث إليهم رسولاً يأمرهم أن يكونوا في ذمته فأبوا ذلك، قالوا: لا نفعل حتى نرى ما يكون من أمركم مع الملك هرقل، وبعد ذلك يكون ما شاء الله تعالى، فقال الأمير أبو عبيدة (رض) فإنا متوجهون إلى قتال الملك هرقل ومعنا رجال وأمتعة وقد أثقلتنا واشتهينا أن نودعها عندكم إلى وقت رجوعنا، قال: فأتى أهل الرستن إلى بطريقهم، وكان اسمه نقيطاس وشاوروه في ذلك، فقال يا قوم ما زالت الملوك والعساكر يودع بعضهم بعضاً، وما يضرنا ذلك، ثم بعث إلى الأمير أبي عبيدة يقول له مهما كان لك من حاجة فنحن نقضيها ونريد منكم المراعاة، لأهل سوادنا حتى نرى ما يكون مَن أمركم مع الملك هرقل، فقال الأمير أبو عبيدة: ونحن نفعل إن شاء الله تعالى.

(قال الواقدي) عن ثابت بن قيس بن علقمة. قال كنت ممن حضر عند أبي عبيدة (رض)، فعند ذلك دعا أهل الرأي والمشورة من أصحاب رسول الله (ص) وقال لهم إنّ هذا حصن شديد منيع ليس لنا إلى فتحه سبيل إلا بالحيلة والخديعة، وأريد أن أجعل منكم عشرين رجلاً في عشرين صندوقاً، وتكون الأقفال عندهم من باطنها، فإذ صاروا في المدينة فثوروا على اسم الله تعالى فإنكم تنصرون على من فيها من المشركين، فقال خالد بن الوليد: فإذا عزمت

على ذلك فلتكن الأقفال ظاهرة٩ ويكون أسفل الصناديق أنثى في ذكر من غـــير شيء يمسكها، فإذا حلّ أصحابنا في حصن من هؤلاء القوم يخرجـــون جملـــة واحدة ويكبرون. فإن النصر مقرون بالتكبير، فأجابه أبو عبيدة إلى ذلك وأخـــذ صناديق الطعام المنتخبة عند الروم، ففضّ أسافلها وجعلها ذكراً في أنثى، فـأول من دخل في الصناديق ضرار بن الأزور، والمسيب ابن نجيـــة، وذو الكـلاع الحميري وعمرو بن معد يكرب الزبيدي، والمرقال وهاشم بن نجعة وقيس بـــن هبيرة وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، ومالك بن الأشتر، وعوف بن ســالم وصابر بن كلكل ومازن بن عامر والأصيد بن سلمة وربّيعة بن عامر وعكرمة بن أبي جهل وعتبة بن العاص، ودارم بن فياض العبسي وســلمة بــن حبيـب والفازع بن حرملة ونوفل بن جرعل وجندب بن سيف وعبدالله بن جعفر الطيار وجعله أميراً عليهم وسلموا الصناديق إلى الروم، فلما حطــت الصنــاديق فــي الرستن ألقاها نقيطاس في قصر إمارته، وارتحل الأمير أبو عبيدة (رض) وسار حتى نزل في قرية يقال لها السودية، فلما أظلم الليل بعث خالد بن الوليد (رض) بجيش الزحف إلى الرستن ينظر ما يكون من أصحابه ومـــا فعلــت الصحابـة (رض) فسار خالد ابن الوليد برجاله حتى وصل القنطرة وإذا بالصياح قد عـــلا والتهليل والتكبير من داخل مدينة الرستن)).[٣٢]

وقد يكون أبو عبيدة متأثراً في تطبيق فكرة الاختباء مما ورد في القرآن عن قصة الطوفان أو قصة موسى نفسه حين ألقته باليم. وفي هذه القصـــة يظـهر استفادة الإنسان من تراثه القومي الذي نشأ في بيئته الجغرافيـــة ولعـل لقصـة قصير والزباء أثراً أيضاً في ذلك وعلينا أن نترك كل سبل الافتراضات مفتوحـة أمام القارئ.

---

[٣٢] فتوح الشام للواقدي، ص١٥٠-١٥١.

تحول فكرة الاختباء إلى الحكاية الشعبية

يُعدّ كتاب ألف ليلة وليلة كالشبكة الضخمة - وقد ظهر في أواخر القرن السابع وأوائل الثامن - يصطاد أحداث كل الملاحم والقصص ذات الملامح التاريخية ويحولها إلى نوع من الحكايات الشعبية الخرافية. فمثلاً أخذ من ملحمة يوليسيس قصة الغول ذي العين الواحدة وأضافها إلى حكايات السندباد. وقد ذكر الباحثون في الأدب العراقي القديم بأن قصة (ننورتا) البابلية الضاحكة[٣٣] قد ورد صدى لها في ألف ليلة وليلة وكذلك قالوا عن احيقار الحكيم الآشوري. ولعل الباحثين يشيرون إلى طبعات من ألف ليلة وليلة غير التي توضع بين يديّ القارئ في الشرق الأوسط، فإن قصة علي بابا مثلاً لا تحتويها النسخة العربية التي بين أيدينا وتحتويها النسخة الإنكليزية ، ولذلك فقد لُخّصت اعتماداً على إحدى الطبعات الإنكليزية لهذا الفصل من البحث.

وفيما يخص الموضوع الذي نخوض فيه، فالذي يبدو أن أحد كتاب ألف ليلة وليلة قد أفاد من فكرة الاختفاء الفردي-الجماعي التي توفرت في أدبنا العربي عن آداب أقدم كما في قصة موسى وقصة الزباء، وحوّلها إلى مضمون الحكاية الشعبية الذي اعتمد في أساسه على مضمون ملحمي فيما يخص الاختفاء الجماعي، وألغى كل الأسماء التاريخية وحوّل العقدة إلى حكاية شعبية خرافية تتوفر فيها كل ما يمكن أن يتوفر في أمثال هذه الحكايات.

وسُمِّيت الحكاية التي احتوت على فكرة الاختفاء الفردي-الجماعي باسم "علي بابا والأربعين حرامي" واحتوت على المكونات التالية:

(٣٣) انجيل بابل: خزعل الخالدي، ص١٣٠.

١- الغرائبيات: ويظهر ذلك في الجملة السحرية: "افتح يا سمسم" وكيف أن نسيان هذا المفتاح السحري يؤدي بصاحبه إلى الحبس داخل الكهف كما حدث لقاسم أخي علي بابا وأدى به إلى القتل.

٢- الأحداث الغريبة: ويتمثل ذلك في تقطيع جسم قاسم بعد أن مسك به اللصوص الذين يمتلكون الكهف إلى أربع قطع، وسرقة علي بابا جسد أخيه، وجلب إسكافي فقير لخياطة الجثة وادعاء علي بابا بأن موت قاسم كان بمرض مفاجئ ثم دفنه في جنازة مهيبة كي لا ينكشف أمر اكتشاف الكهف.

٣- استخدام الحِيَل: ويظهر ذلك في كيد زوجة قاسم زوجة علي بابا البلهاء، التي جاءت تطلب الميزان لوزن الذهب الذي جلبه علي بابا من الكهف فوضعت في أسفل الميزان مادة القار فالتصقت قطعة ذهبية فاكتشفت زوجة قاسم بذلك الشيء الذي وزنوه في الميزان.

٤- التضارب في سلوك الشخصيات: ويظهر في التناقض بين سلوك علي بابا البسيط الكريم، وسلوك أخيه البخيل الشره، الذي أدى به بخله وشرهه إلى قتل اللصوص إياه.

٥- الحرب بين الأذكياء: ويتمثل ذلك في محاولة اللصوص اكتشاف بيت علي بابا ومحاولة (مرجانة) الخادمة الذكية تضليلهم وخداعهم، ففي هذا إشارة إلى أن ذكاء المرأة قد يفوق ذكاء الرجل.

٦- تنفيذ القتل: حاول اللصوص قتل علي بابا بأن جاء رئيسهم في زي تاجر زيت وكان في الواقع يحمل رجاله على قافلة من البغال واكتشاف مرجانة ذلك وصبّت الزيت الحار على رؤوس اللصوص الذينَ اختفوا في (الجرار) ثم قتل اللص بعد أن رقصت أمامه وبيدها خنجر، وفي حركة بارعة ضربت زعيم العصابة وقتلته

وكشفت عن وجهه بإزالة اللحية البيضاء الملتصقة بوجهه حيث ظهر وجه اللص البغيض ولحيته السوداء.

٧- ذكاء المرأة: ويظهر ذلك في ذكاء مرجانة الجارية الجميلة الذكية في اكتشاف حيل اللصوص ثم القضاء عليهم ومساعدة سيدها الطيب الفقير السليم النية في كل ذلك.

٨- النهاية السعيدة: وتنتهي الحكاية بقتل جميع اللصوص مع رئيس العصابة وامتلاك علي بابا للكنز السري، وتوّجت القصة بزواج (أحمد) الولد الوحيد لعلي بابا من مرجانةِ الجميلة، بعد أن اكتشف جمالها في مشهد الرقص، الذي قتلت فيه زعيم العصابة وقد تزينت ولبست أجمل الملابس، فظهر جمالها الباهر، وهكذا سكتت شهرزاد عن الكلام المباح.

والذي يهمنا من هذه الحكاية الشعبية التي لعبت في عقدتها جذور ملحمية ودينية واستخدمت فكرة الاختفاء الفردي-الجماعي المستمدة من جذور القصص الديني القرآني أو التوراتي، والجذور الملحمية التي استمدت من جذور الملحمة العربية (حكاية الزباء وقصير) وربما امتد ذلك إلى الملحمة السومرية وحكاية الطوفان السومري الجماعي، أو الاختفاء الفردي لسرجون الاكدي وقد رأينا إشارة الباحثين من قبل إلى تأثر ألف ليلة وليلة بحكايات بابلية كما في حكاية (ننورتا) البابلي وحكاية (أحيقار الحكيم) الآشورية التي تسربت إلى الأدب العربي وألف ليلة وليلة عن ترجمة سريانية.

والعقدة التي قامت عليها قصة علي بابا الشعبية قد أفادت من العقدتين القديمتين في الاختفاء الفردي والجماعي.

فبعد أن عجز اللصوص عن مهاجمة بيت علي بابا في الليل لقتله وأفراد عائلته لأن مرجانة كانت لهم بالمرصاد، وكلما وضعوا إشارة على باب دار علي بابا لهذا الغرض قامت مرجانة بوضع العلامة نفسها على جميع الأبواب

المجاورة لتضليل اللصوص وكانت تستخدم الصبغ الأبيض أو الأحمر نفسه ولذلك فإن زعيم العصابة - إذ فشل أتباعه في تنفيذ القتل - يقرر نفسه أن يقوم بذلك وينفذ خطة لهذا الغرض. فاتخذ زي تاجر زيت وقد أخفى أصحابه من اللصوص في جرار كبيرة كانت تتسع لإخفاء لص واحد مع سيفه ثم حملها على قافلة من البغال، وترك بغلاً واحد يحمل رجلاً واحداً مع جرة زيت كبيرة وهو ذات الزيت الذي غلته مرجانة وصبته على رؤوس اللصوص فقتلتهم وهم في الجرار.

وإذا قارنا العقدة بغيرها من الحكايات والملاحم القديمة فهي تشبه في عقدة الاختفاء الفردي قصة موسى وسرجون لأن كل خابية أو جرّة تحمل شخصاً واحداً ولكن في جملتهم كلهم في قافلة واحدة. فالشبه بين قافلة هذا اللص وقافلة (قصير) في ملحمة الزباء تكون متطابقة وتقترب من حصان طروادة الذي ضمّ مجموعة من الجند وتقترب كذلك من سفينة نوح مع اختلاف الغرض كالفرق بين الحرب والسلم والقتل والإنقاذ إلاّ أن تنفيذ هذين الغرضين قد استخدم الأسلوب نفسه.

وقد قمنا - كما ألمحنا من قبل - بترجمة قصة علي بابا الشعبية عن النسخة الإنكليزية المعتمدة على النسخة الفرنسية التي تمثل النسخة الأولى من ألف ليلة وليلة من النص العربي المترَجم. ولا شك في وجود خلاف في عدد القصص وموضوعاتها بين النصين: العربي والنص المترجم إلى اللغات الأوربية وأصله النص الذي ترجمه لأول مرة إلى أوربا المترجم كالان الفرنسي ما بين عام ١٧٠٤م وعام ١٧١٢م. ولعل الباحثين في حاجة إلى إجراء مقارنة بين الترجمة الفرنسية أو الإنكليزية والنص المتداول في الشرق الأوسط لتحديد الفروق والاختلاف.

ونلخص فيما يلي هذه القصة الشعبية للنظر فيما ذكرنا من تفصيل:

موجز لحكاية علي بابا:

(علي بابا والأربعين حرامي)

تقص هذه الحكاية قصة أخوين هما قاسم وعلي بابا، لقد كانِ قاسم بخيلا نذلا وقد تزوج من امرأة غنية تشبهه في بخلها وسوء خلقها، وكان علي بابا فقيرا، ولكنه كريم النفس وقد تزوج امرأة تشبهه في الطيبة، وفيها كثير من البساطة، وله ولد واحد اسمه أحمد، وخادمة واحدة يعاملها كابنته واسمها مرجانة. كانتَ فتاة ذكية جميلة. كان علي بابا يكسب رزقه من قطع الحطب من الغابة وبيعه على حمره الثلاثة.

وفي أحد الأيام سمع وقع حوافر خيل وأصوات رجال، فأخفي حميره بين الأشجار وارتقى على شجرة كي يشاهد خبر هؤلاء الرجال. ووصل الرجال إلى صخرة مغلقة في الغابة ونزلوا محملين بالمال المسروق وحين اقتربوا من الصخرة قال رئيسيهم: "افتح يا سمسم". فأنغلقت الصخرة عن كهف عميق فدخلوا مع ما معهم من مال وبعد فترة خرجوا ثانية وركبوا خيولهم وانطلقوا في طريقهم واقترب علي بابا من الصخرة وقال بصوت خافت: افتح يا سمسم. وحين انفتح باب الكهف ودخل رأى كل ثروة العالم في ذلك الكهف. فحمل من النقود ستة أكياس، وأخفاها بين الحطب الذي تحمله حميره، وأخبر زوجته بما وجد. ولبساطتها فإنها أرادت أن تزن الذهب. فذهبت إلى بيت زوجة قاسم وسألتها أن تعيرها الميزان لوزن الحنطة التي اشتراها علي بابا. وأرادت زوجة قاسم أن تعرف حقيقة الأمر فوضعت القار في أسفل الميزان وأعطته أياها. وحين وزنت زوجة علي بابا الذهب التصقت قطعة منه في قفا الميزان ولم تلاحظها زوجة علي بابا بل لاحظتها زوجة قاسم التي أخبرت زوجها خبر الذهب الكثير الذي لدى أخيه الذي احتاج إلى ميزان كي يزنه به.

ذهب قاسم إلى أخيه وتحت التهديد والوعيد أخبره علي بابا الطيب خبر الكنز فطلب منه أن يدله على المكان. فأخذ بعض البغال، وذهب إلى مكان

الكهف، ودخل فيه بعد أن نطق بالكلمة السحرية. ولكن دهشة الرجل وحرصه ورغبته أن يحمل منه أكثر ما يستطيع ولعجلته وخوفه نسي كلمة افتح يا سمسم، وحين أراد الخروج لم يتذكر الكلمة فأخذ يذكر كل أسماء الحبوب التي ترد إلى ذهنه وأخذ يصرخ: افتح يا شعير، افتح يا دّخن، افتحي يا حنطة، افتح يا رُزّ، افتح يا زوان!!!

ولكن الكهف بقي مغلقاً. وسرعان ما سمع وقع حوافر خيل اللصوص الذين فاجئوه فقتلوه وقطعوه إلى قطع ثم خرجوا.

وحين تأخر قاسم، ذهب علي بابا إلى الكهف فوجد أخاه قتيلاً، فحمل جثته المقطعة وذهب بها إلى بيته. ولكي لا يفتضح أمره وأمر أخيه فإنه أرسل مرجانة إلى اسكافي فقير أعطته ديناراً وطلبت منه أن يصطحبها إلى بيت علي بابا – ولم تخبره باسم سيدها– واشترطت عليه أن تشد عينيه كي لا يعرف المكان. وخاط الإسكافي الجثة ودفن قاسم وجلس أحمد بن علي بابا مكان عمه في دكانه.

وحين عاد اللصوص إلى الكهف لم يجدوا الجثة فقرروا البحث عن الذي سرقها لقتله.

واهتدى أحد اللصوص من العصابة إلى الإسكافي الذي حدثه بالخبر واصطحبه وهو مشدودَ العينين إلى بيت علي بابا على هدي ذاكرته فوضع اللص إشارة بالطباشير على باب البيت لمهاجمته ليلاً، ولاحظت مرجانة الذكية هذه الإشارة الغريبة فوضعت إشارة مثلها على كل باب في الحارة وحين جاء اللصوص في الليل لم يعرفوا أي بيت عليهم أن يهاجموه ونتيجة هذا الفشل قتل رئيس العصابة اللص الذي فشل في تحديد بيت علي بابا.

وأرسل رئيسَ العصابة لصاً آخر فوضع هذه المرة علامة حمراء على باب علي بابا، وكانت مرجانة أذكى منه فوضعت على كل باب في الحارة علامة مثلها وفشلت العصابة في معرفة البيت ونقصت لصاً آخر قتله رئيسهم.

وفي الأخير يقرر رئيس العصابة أن يذهب بنفسه إلى بيت علي بابا في زي تاجر زيت معه قافلة تحمل جميع أصحابه في جرار كبيرة فوضع أصحابه السبعة والثلاثين في الجرار وملأ الجرة الثامنة والثلاثين بالزيت وحملها على تسعة عشر بغلاً.

وفي المساء وصل رئيس العصابة في زي تاجر إلى بيت علي بابا، ومعه بغاله المحملة بالجرار الكبيرة التي تحمل أفراد العصابة ما عدا جرة واحدة قد ملئت بالزّيت لتعادل اللص السابع والثلاثين وطلب منه السماح للمبيت في بيته مع بغاله والجرار التي تحملها البغال المحملة باللصوصِ ولم يكن علي بابا يعرف ذلك. فأضاف الرجل وأكرمه، وفي وقت النوم خرجت مرجانة لجلب الوسائد لنوم الضيف فسمعت في الظلمة رئيس العصابة يخاطب أصحابه بأنه إذا ما رمى حصاة في آخر الليل فعليهم الخروج من الجرار لمهاجمة علي بابا ولم يقف عند الجرة المملوءة بالزيت فعرفت أنها لا تحوي رجلاً وإنما تحتوي على الزيت، وقبل أن ينام أهل البيت، نفد مصباح الزيت فخرجت مرجانة إلى تلك الجرة وأفرغت مافيها من زيت وأغلته على النار ثم جاءت بإناء فيه الزيت المغلي وأخذت تصبّ منه على كل جرة من الجرار التي اختفى فيها الرجال وذهبت إلى النوم.

وحين رمى رئيس العصابة الحصاة - علامة الخروج من الجرار - في منتصف الليل لم يخرج أي من رجاله من جرته، فنزل ليوقظهم إذ ظنهم قد غلبهم النوم فوجدهم كلّهم موتى بسبب الزيت المغلي الذي صبته مرجانة على رؤوسهم. وحين عرف أن مكيدته قد انكشفت خرج هارباً في منتصف الليل. وهكذا تغلبت مرجانة بذكائها على رئيس العصابة(٣٤) ورجاله القتلة. وحين

---

(٣٤) لخصت القصة عن حكاية "علي بابا والأربعين حرامي" المترجمة من كتاب
"The Arabian Nights"
stories retold by Amabel William - Ellis, Blackie, London and Glasgow, 1976, p. 215-248.

حاول التقرب من علي بابا وولده أحمد في زي تاجر شيخ متنكر ودعـــي إلـــى البيت اكتشفته مرجانة وفي مشهد من مشاهد الرقص طعنته بالخنجر فمات.

وهكذا تنتهي فكرة الاختباء الفردي-الجماعي في العراق العربي كما بـــدأت في العراق السومري والبابلي وبذلك يصدق عليها مضمون الآية فـــي القـــرآن الكريم : بسم الله الرحمن الرحيم "منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى"[٣٥].

وفي إحدى ساحات بغداد الجنوبية اليوم تمثال للسيدة مرجانة وهي تصـــب من إنائها الزيت على الجرار التي يختبئ بها اللصوص تخليداً لتلك الأســـطورة العراقية العريقة.

وفي القسم الأخير من البحث سوف ننظر في التبدل الـــذي يطـــرأ علـــى الحكايات والقصص والتغيير والتحوير عند الانتقال من حضارة إلـــى حضـــارة وضرب من الأمثلة لذلك للبرهان على الجذر الأول القادم من العراق لحكايـــات الاختفاء الفردي- الجماعي وكون أن الأصل الأخير هو من الأصل الأول فـــي هذه الحكايات مع كل ما جرى عليه من تعديـــل حســـب ظـــروف الحضـــارة المستعيرة.

---

[٣٥] سورة طه، آية ٥٥.

انتقال المضامين القصصية في الملاحم والحكايات وسبل الكشف عنها

في سبيل أن يصل الباحث إلى قناعة قطعية في التأثر في الملاحم والحكايات، فعليه أن يخضع البحث لعدد من القواعد المستقلة أو المتداخلة، والمفردة أو المركبة، كي يصل إلى تحديد مقدار الصلة بين نص ملحمي أو حكائي من أدبين مختلفين. ونريد أن نحدد هنا هذه القواعِد ونضرب لها الأمثلة من الأدب العربي في الآداب الأجنبية أو أثر العراق القديم.

ويمكن أن نحدِّدَ هذه القواعد بذكرها منهجاً لهذا النوع من البحث هي:

١- الاستدلال.

٢- البحث عن الأصول.

٣- تبديل العقدة.

٤- تبديل أسماء الشخصيات.

٥- تضمين الجزء في الكل.

٦- إخفاء الأصول بتشويه الشخصيات.

والسبب في وضع هذا المنهج هو الوصول إلى القناعة، بالأثر الذي نزعمه، ولأن الأدباء وكتّاب الأمم في التراث اليوناني والروماني، وفي العصر الوسيط، في أوربا كانوا ذوي جرأة لا تطاق في سرقة الأفكار الشرقية، على نطاق الدين والعلم والأدب، وكانوا يتخفون على الأصول التي يسرقونها اعتماداً على قلة انتشار العمل الأدبي الشرقي، بين أيدي الجماهير، وكون الملاحم والقصص قد لا تقع إلا في أيدي قلة من المثقفين والكتاب.

وأهم من ذلك فإن طرق انتشار الفكر كانت غامضة لا سبيل إلى تتبع أصولها لقلة المخطوطات ولأن طرق الانتشار قد تأتي الكاتب عن طريق النقل

الشفهي الذي يتكفل به التجار أو سفر الكاتب نفسه إلى أماكن الحضارة. فإن فيثاغورس مثلاً قد استعار نظرية هندسية تسمى بأذن الحمار وهي التي تقول أن المربع القائم على وتر المثلث قائم الزاوية يساوي مجموع المربعين القائمين على ضلعيه الآخرين.

وقد أثبت البحث الآن أن بعضاً من أسماء الآلهة اليونانية لها أصول شرقية وأن كلكامش بطل الملحمة المعروفة بإسمه، له مثيل في هرقل اليوناني وهكذا.

١- **الاستدلال:** ونقصد به هنا تتبع التشابه من خلال البحث عن الوحدات أو الجزئيات التي تُضم إلى عمل أدبي أجنبي وتحديد هذه الجزئيات في الأصول المؤثرة على أن تكون من الجزيئات التي لا يمكن أن يهتدي إليها الكاتب المتأثر بنفسهِ، لأصالة فكرتها بحيث لا يمكن إلا أن يكون التأثر بها، سبيلاً لنقلها من أدب إلى أدب، ولنضرب مثلاً فيما جاء حكايات كنتربري لجوسر الشاعر الانكليزي (١٣٤٢-١٤٠٠م).

فقد نقل كاظم سعد الدين خلاصة إحدى القصص عند جوسر فقال:

"كان أبسلون قد سمع أن النجار كان بعيداً عن المدينة، فتسلل ووقف تحت شباك (ألسن) وتوسل إليها بطلب قبلة. فقالت له:هيّا اغرب عني فلا يمكن أن أمنحك أي قبلة. فتوسل إليها، وخشيت أن يوقظ الجيران فوافقت على أن تعطيه قبلةً. وقررت أن تضحك على هذا الشاب المزعج، فأدارت له ظهرها في الظلام (من الشباك) وقبّلها، ولكنه اكتشف اللعبة فذهب غاضباً وقد بيّت أمراً للانتقام. وذهب إلى بيت الحداد واستعار مسباراً شديد الحرارة وعاد إلى بيت النجار يطلب قبلة أخرى، فوجد حبيب أبسالون الذي كان معها في البيت الحيلة لطيفة فأخرج ظهره، وأطلق عليه الريح فأجفل أبسالون غير أنه استعاد نفسه وكوى مؤخرة نيكولاس الذي صاح: النجدة! الماء! النجدة!".[٣٦]

---

[٣٦] حكايات كنتر بصرى، ص٢٤.

وحين ننتظر في أصول هذه الحكاية نجدها مركبة من حكايتين عربيتين واحدة قصة مثل عربي، والأخرى نادرة من النوادر العباسية إلا أن الكاتب الانكليزي، حاول أن يمزج الحكايتين ويزيد في عدد الشخصيات. فمسألة كوي المؤخرة جاءت في المثل العربي الجاهلي: "قد قلينا صفيركم".

قال الميداني: "أصله أن رجلاً كان يعتاد امرأة، فكان يجيء وهي جالسة مع بنيها وزوجها، فيصفر لها فتخرج عجزها من وراء البيت (الخيمة) وهي تحدث ولدها فيقضي الرجل حاجته وينصرف. فعلم ذلك بعض بنيها فغاب عنها يومه ثم جاء في ذلك الوقت فصفّر ومعه مسمار محمي، فلما أن فعلت كعادتها كواها به. وجاء خلّها بعد ذلك فصفّر. فقالت: "قد قلينا صفيركم".[٣٧]

والجزء الأخير من الحكاية يرد مروياً في كتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي كالآتي:

"جاء الجمّاز إلى صديقة له، فوجد بابها مغلقاً، فقال: افتحي! فقالت: لا يمكنني. فقال لها: فقبليني من خلف الباب. فأدارت أستها إليه. فلما قبّلها فتحتها ففست. فقال لها: سيدتي تعشيت بكرش؟!"[٣٨] فحكاية النصين مبتكرة لا يمكن أن يهتدي إليها كاتب آخر بهذه الدرجة من التطابق.

وإذا أردنا أن نلاحظ الأصول في كتابنا للاختباء بين الآداب المختلفة على قاعدة الاستدلال يمكن أن نلاحظ ما يلي في فكرة الاختباء التي (ابتكرها) السومريون:

---

[٣٧] مجمع الأمثال: للميداني، ج٢، ص٩٨ (المثل ٥٨٥٨).

[٣٨] البصائر والذخائر: لأبي حيان التوحيدي، ج١، ص٣٢١.

الاختباء الجماعي	الاختباء الفردي	الاختباء الفردي الجماعي
السومريون (سفينة أتراحسس)	(البابليون) سرجون الاكدي	(العرب) قصير والزباء
البابليون (سفينة أتونا بشتم)	(اليهود) موسى	(العرب) أبو عبيدة (فتح الرستن)
البابليون (سفينة نوح)	(العرب) حي بن يقظان	(العرب) علي بابا
اليهود (سفينة نوح)		
(اليونان والرومان) (حصان طروادة)		

فالفكرة المبتكرة للاختباء الجماعي تسلسلت في ثلاثة من الآداب الشرقية هي السومرية والبابلية والعربية فمهدت الأرض لفكرة حصان طروادة. وفكرة الاختباء الفردي جاءت لليهود عن طريق الأدب البابلي ولابن طفيل من خلال القرآن.

أما الاختباء الفردي الجماعي فهو حدث تركيبي من مجموع هذه الآداب وقد ظهرت في الأدب العربي تاريخاً وأسطورة وحكاية شعبية.

٢- البحث عن الأصول:

وهنا يقصد أن الأدب المؤثر يمكن أن يضع قصة أدبية أو شعبية اعتماداً على أصل تاريخي فيكون لدينا أكثر من سلسلة توثيق للحكاية وبذلك يصبح أمر إنكار تأثيرها في أدب أجنبي أو كاتب أجنبي مردوداً ويصبح التأثير مؤكداً لا يقبل الشك.

ولنضرب هذا المثل التوضيحي من كتاب الديكاميرون لبوكاشيو:

"إنّ قسيس الفارلنكو قد واقع مونا بيلوكلير وترك معها عباءته رهناً ليدفع بها بعد ذلك خمسة دنانير ثمن ما تقاضى منها من متعة. ولكنه يستعير منها

حجر الطاحونة ثم يرسله اليها بيد رسول أمام زوجها، ويطالبها الرسول بالعباءة وكأنه وضعها رهناً للحجر. فيأمرها زوجها بإعادة العباءة وهو مغضب ويلومها على أخذ الرهن من القسيس إزاء حاجة تافهة كهذا الحجر".[٣٩]

وفي القصة تفصيلات أخرى تقربها من نص الحكاية العربية التي نقلها النفزاوي في كتابه "الروض العاطر في نزهة الخاطر"؛وهو أن بهلول المجنون يهديه الخليفة ثوباً من حرير مذهّب، وترغب إحدى السيدات باقتناء الثوب فيخبرها بأن ثمنه اللقاء بها وتقبل بالشرط وبعد أن أعطاها الثوب وخرج دق الباب ثانية فطلب ماء وألقى بالإناء وكسره، وجلس قرب الباب حتى جاء الزوج فأخبره بأنه طلب ماء فانكسر الإناء الذي شرب منه فأخذت زوجته ثوباً ثميناً من الحرير المذهب ثمناً للإناء، وهنا طلب الزوج من الزوجة إعادة الثوب ولامها على أخذها الثوب ثمناً للإناء الذي كسره الرجل.[٤٠]

وحين ننظر في كتب الحكايات العربية نجد أن لحكاية النفزاوي أصلاً شبه تاريخي يرويه أبو عبيدة مما يؤكد أصل الحكاية العربية:

"قال أبو عبيدة معمر بن المثنى أن الفرزدق مرّ بامرأة وعليه ثوب وشي فتعرّض لها، فقالت لها جاريتها: ما أحسن هذا البرد، فقال: هل لك أن أقبّل مولاتك وأهب لها هذا البرد؟، فقالت الجارية لمولاتها: ماذا يضرّك من هذا الإعرابي الذي لا يعرف الناس؟ فأذنت له فقبّلها فأعطاها البرد، ثم قال للجارية: اسقني ماء فجاءته الجارية بماء في قدح زجاج، ولما وضعته في يده ألقاه من يديه فانكسر. فقعد الفرزدق مكانه إلى أن جاء صاحب الدار فقال: يا أبا فراس ألك حاجة؟ قال: لا، ولكن استسقيتُ من هذه الدار ماء فأتيت بقدح من زجاج،

---

(٣٩) الديكاميرون لبوكاشيو، الجزء ٢، ص٢٣٥ (باللغة الإنكليزية).
(٤٠) الروض العاطر، ص٧-١٠.

فوقع الإناء من يدي فانكسر، فأخذوا بردي رهنا، فدخل الرجل وشتم أهله وقال: ردوا على الفرزدق برده."[٤١]

ورغم التشابه في العقدة بين الحكايات الثلاثة فإن ورود النص العربي في مصدرين يجعل أمر تأثيره لا ينكر، ويمكن أن نلاحظ هذا الجدول للمقابلة بين الأثر العربي في الديكاميرون والأثر العراقي القديم في التوراه:

مصادر قصة الديكاميرون	مصادر قصة الطوفان اليهودية
النفزاوي	الأدب السومري
كتاب الأذكياء	الأدب الاكدي (البابلي)

٣- تبديل العقدة:

قد يعمد كثير من الكتاب الأوربيين إلى صياغة حكاياتهم على غرار الحكاية العربية ولكن مع تبديل العقدة، ونقصد هنا تغيير ما يدور حوله الصراع بين الشخصيات.

فإن قصة تروى عن حاتم الطائي، بأن وفدا من الروم قد جاء إليه ليختبر كرمه الذي شاع في الآفاق، وكانت نية الوفد أن يسأله فرسه لأنها أعز ما يملكه العربي. وفي الوقت الذي جاءه الوفد كانت إبل الحي في المرعى فذبح حاتم فرسه وطبخها وأطعم الضيوف وسألهم عن حاجاتهم بعد ذلك. فأخبروه بأنهم يسألونه الفرس فقال: لقد ذبحتها إكراما لكم.

ويصوغ بوكاشيو في الديكاميرون حكاية على غرار حكاية حاتم، إلا أن ما يدور حوله الصراع هو الصقر الذي يصطاد به، وهو كل ما يملك ولكنه يذبحه غداء لسيدتين إحداهما محبوبته التي لم تتزوج به، وبعد الغداء سألهما عن

[٤١] كتاب الأذكياء: لابن الجوزي، ص١٠٦-١٠٧.

حاجتهما فأخبرته بأن ابنها مريض بسبب حبه لاقتناء الصقر الذي يملكه فأخبرهما بأنه قد ذبحه لغدائهما.[٤٢]

ويمكن أن نلاحظ في هذا الجدول تبديل الصراع في الأدبَ القديم والأدب الأوربي:

العقدة	العقدة
الفرس (في حكاية حاتم)	السفينة (في الأدب السومري)
الصقر (في حكاية الديكاميرون)	حصان طروادة (فيَ الأدب الروماني)

٤- تبديل أسماء وجنس الشخصيات:

وهذا أمر يعد من باب تحصيل الحاصل، فإن الكاتب الذي يستعيد حكاية من أدب ما معني، بمحاولة تحويل شخصيات الحكاية إلى ما يلائم بيئة الكاتب من حيث الاسم والسلوك وإلا لكانت الحكاية تعد ترجمة، وهذا ما لا يريده من يستعير حكاياته من الآداب الأجنبية وقد يبدل الكاتب جنس الشخصية أيضا كما في القصة السابقة:

الشخصيات في حكاية حاتم وبوكاشيو	الشخصيات في الأدب القديم (الطوفان)
حاتم	أتراحاسس (سومر)
وفد ملك الروم	أتونا بشتم (بابل)
فيردريكو البريجي (في دور حاتم)	نوح (التوراة)
السيدة مونا جيوفانا (في دور وفد ملك الروم)	يوليسيس (حصان طروادة)

---

(٤٢) الديكاميرون، ج٢، ص٤٨، وكتاب الأعلام الخمسة، ص٢٨٦.

فإننا نلاحظ أن شخصيات قصة حاتم شخصيات ذكرية وشخصيات الديكاميرون شخصيتان ذكر وأنثى مع تبديل اسم حاتم بفيردريكو واسم وفد ملك الروم بالسيدة مونا جوفانا، أما أسماء أبطال الطوفان فإنها متغيرة ومختلفة ولكن لم تخرج عن كونها من الذكور.

٥- تضمين الجزء الكل:

ومعنى ذلك ان الكاتب الأجنبي يضمن بعض النوادر والحكايات القصيرة التي يجعلها جزءاً من حكايته الطويلة لإعطائها تأزما طريفاً وبارعاً كي لا يصاب قارئها بالملل جراء أحداثها السردية التي لا تروي إلا حدثا لا جديد فيه.

ويمكن أن نعطي مثلا لذلك رواية "حياة لارساريو دي تورمس وحظوظه ومحنه" وقد نشرت الرواية عام ١٥٥٤م وهي مجهولة المؤلف. يعتقد كثير من الباحثين بأنها قد تأثرت بمقامات الحريري، في تسجيل مغامرات بطل محتال مدع يدعي الغنى وهو لا يمتلك قوت يومه. وفي خلال فصول الرواية يأتيه خادمه الصغير الذي خرج من الدار قبل قليل راكضاً خائفاً لاهثا ودخل الدار الفارغة من كل أثاث أو طعام ويقول:

- "تعال إلى جانبي خلف الباب كي نمنعهم من الدخول لأنهم سيأتون إلى هنا بميّت. فأجاب: كيف؟ ميّت؟ فقال: التقيت به هنا في الشارع تتبعه امرأة وهي تقول:

- يا لله إلى أين يحملونك؟ يا لزوجي العزيز، يسيرون بك إلى المنزل الكئيب المظلم، المنزل الذي لا طعام فيه ولا شراب، فهم في طريقهم إلينا بهذا الميت يا سيّدي"[٤٣]

وهذا النص الذي يمثل جزءاً من حوار الرواية، إنما هو نص منقول حرفياً عن نادرة عربية ذُكرت في الأغاني والمستطرف عن أحد الشعراء الفقراء:

---

[٤٣] النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة، د. محمد غنيمي هلال، ص٦٠.

"قال عثمان بن دراج الطفيلي: مرّت بنا جنازة يوماً ومعي ابني وفي الجنازة امرأة تبكي وتقول: الآن يذهبون بك إلى بيت لا فراش فيه، ولا غطاء، ولا وطاء، ولا خبز، ولا ماء!

فقال ابني: يا أبي إلى بيتنا والله يذهبون![٤٤]

وهذا جدول المقابلة في تضمين الجزء في الكل في الآداب الأوربية والقديمة:

الكل والجُزء في الأدب الأوربي والعربي	الكل والجزء في الأدب السومري واليوناني
مقامات الحريري (الإطار العام) نادرة عثمان بن دراج الطفيلي (جزء من كل من سيرته)	الطوفان (الإطار العام) السفينة (الجزء من الكل)
رواية لارساريو (الاطار العام) نادرة الخادم (الجزء من الكل)	حرب طروادة (الأطار العام) حصان طروادة (الجزء من الكل)

٦- اخفاء الأصل بتشويه الشخصيات:

ويظهر ذلك ما بين بوكاشيو الإيطالي وجوسر الانكليزي، فقد استعار بوكاشيو أحداث حكاية عربية من الأدب العربي، فاكتفى بتغيير أسماء الشخصيات فقط ولكن حين استعار جوسر الحكاية عن الديكاميرون فأراد أن يزيد فيها كي يجعلها بعيدة عن ترجمة الديكاميرون أي أنه انتهى بها إلى قصة دون مستوى نص بوكاشيو ودون مستوى النص العربي.

وفي سبيل معرفة ما حدث من تشويه في النص الإنكليزية للحكاية فإننا سنروي النص العربي الذي طابقه النص الإيطالي ما عدا الأسماء ثم نقارنه بتحوير جوسر للحكاية.

---

[٤٤] المستطرف للأبشيهي، ٢٢١/٢.

جاء في كتاب الأذكياء:

"بلغنا أن امرأة لها عشيق فحلف عليها إن لم تحتالي حتى أطأك بمحضر من زوجك لم أكلمك، فوعدته أن تفعل ذلك فواعدها يوماً وكان في دارهم نخلة طويلة.

فقالت لزوجها: أشتهي أن أصعد هذه النخلة فأجتني من رطبها بيدي، فقال: افعلي.

فلما صارت في رأس النخلة أشرفت على زوجها وقالت: يا فاعل من هذه المرأة التي معك؟ ويلك أما تستحي أن تنام معها بحضرتي؟ وأخذت تشتمه وتصيح، وهو يحلف أنه وحده ما معه أحد. فنزلت وجعلت تخاصمه ويحلف بطلاقها أنه ما كان إلا وحده، ثم قال لها: اقعدي حتى أصعد أنا! فلما صار في رأس النخلة استدعت صاحبها، فاطلع الزوج فرأى ذلك فقال لها: جعلت فداك لا يكون في نفسك شيء مما رميتني به، فإن كل من يصعد هذه النخلة يرى مثل ما رأيت!"[٤٥]

وينقل بوكاشيو النص العربي ترجمة بعد تغيير أسماء الشخصيات أما جوسر فيغير في شكل الشخصية، بحيث يجعل الزوج أعمى، فتقود الزوجة (مي) زوجها (جنيوري) الأعمى إلى أصل شجرة يختفي فيها حبيبها (دميان)، وتتسلق الزوجة الشجرة بحَجة قطف الثمار، وهي في الواقع تسلقت الشجرة لتلتقي بدميان هناك. ويعود بصر الرجل الأعمي فيراهما على ذلك الحِال. وحين يحتج على ذلك التصرف، تبرر زوجته وهمه ببصره الضعيف المشوش، الذي عاد إليه، وبسبب شدة الضوء الذي لا يجعله يبصر ما حوله جيداً.[٤٦]

والفرق كبير بين الإبداعين العربي والانكليزي، ففي سبيل أن يتجنب الكاتب فكرة كون النخلة مَسحورة يرى من يتسلقها غير ما هو موجود فاضطر جوسر

---

[٤٥] كتاب الأذكياء، ص١٠٦.
[٤٦] حكايات كنتربري، ص٣٨.

إلى سلب الرجل نظره وإعادته إليه في تلك اللحظة الذي تكون فيه (مي) تلتقي بدميان وفي ذلك الوضع المريب وهذا يبعد عن الواقعية ويسلب الحكاية الجانب الخرافي المضحك، وهذا جدول المقابلة بين تبديل العقدة وتشويهها في الآداب الأوربية والآداب القديمة:

عقدة الحكاية العربية والإنكليزية	**عقدة الأدب البابلي والتوراة في رمي سرجون وموسى في النهر**
عقدة الحكاية العربية (النخلة المسحورة)	سرجون يلتقطه البستاني ويربيه بعيداً عن أمه
عقدة الحكاية الإنكليزية (الرجل الأعمى يعود بصيراً).	موسى يلتقطه آل فرعون ويعاد إلى أمه.

نجد واقعية الحكاية العربية بوجود النخلة المسحورة تمشياً مع العقائد الشعبية أما عقدة الحكاية الإنكليزية تقوم على تشويه الشخصية وعدم واقعية الحديث كاستعادة البصر في لحظة حرجة جداً.

أما في قصة سرجون فإن واقعية تسلسل الحدث تجعلها أقرب إلى ما يحدث للطفل من ضياع والتقاط، بحيث تفقد الأم طفلها، إلى الأبد كما في حالات التبنّي.

أما في قصة (موسى) في التوراة فهناك تشويه للواقعية، واتخاذ عامل الصدفة عاملاً مهماً في عودته إلى أمه، وهو أمر نادر الحدوث مع كونه أمراً واقعاً.

نأمل أن يكون ما قدمناه في هذا القسم من البحث قد أكد فعلاً أثر الأدب العراقي القديم في الآداب الأخرى وخاصة في الأدب اليوناني والأدب الروماني الذي ذكر حكاية حصان طروادة وطور ٩العقدة في الإنياذة إلى ما انتهت إليه في إلياذة هوميروس.

الملحـــق

اللوح الحادي عشر والثاني عشر
(الطوفان في ملحمة كلكامش)

وهو أصل كل ملاحم الاختباء
الجماعي في الآداب الإنسانية

اللوح الحادي عشر

(١) خاطبه كلكامش، خاطب اوتنابشتي
النائي البعيد قائلاً،
'أنظر إليك يا اوتنابشتي
فأرى أن أطرافك ليست مختلفة -
إنك مثلي تماماً.
بالفعل، أنت لا تختلف بتاتاً-
إنك مثلي تماماً.
أجد رغبة تدفعني لأثبت نفسي ضدك(؟)،
لأبارزك(؟)
[ ] واستلق أنت على ظهرك.
[ ] كيف وقفت في حضرة الآلهة
وسعيت لكسب الحياة الأبدية؟'
خاطبه اوتنابشتي، خاطب كلكامش قائلاً:
'دعني أكشف لك يا كلكامش
عن قضية في غاية الحذر.
ودعني أخبرك عن سرّ الآلهة.
شروباك مدينة أنت تعرفها بنفسك،
تقع على [ضفاف] نهر الفرات.

كانت تلك المدينة عريقة في القدم عندما
قرر الهتها أن على الآلهة العظماء صنع طوفان.
كان هناك والدهم آنو،
ومستشارهم المحارب إليل،
وكان نينورتا الحاجب الأكبر،
وأنوناكي مراقب القناة.
وأقسم إيا البعيد النظر يمين (السرية) معهم،
وهكذا أعاد تلاوة خطابهم لكوخ من القصب،
"يا كوخ القصب، يا كوخ القصب، ويا جدار
الآجر، يا جدار الآجر،
اصغ لي يا كوخ القصب، وانتبه يا جدار الآجر:
(هذه هي الرسالة:)
يا رجل شروباك، يا ابن أوبار توتو،
فكك منزلك، وابن سفينة.
تخلى عن مقتنياتك، واجمع الأشياء الحية.
أنبذ الأملاك المنقولة وانقذ الحياة!
ضع على متن السفينة بذورَ كل الكائنات الحية.
السفينة التي سوف تبنى
ستكون متوازية الأبعاد،
عرضها وطولها سيكونان متناسقين،
وأسقفها مثل **أبسو**."
أدركت ذلك وقلت لَسيدي إيا:
"لقد أعرت كلماتك كل اهتمامي
يا سيدي وسأعمل بموجبها.

لكن كيف أبرر نفسي للمدينة، للرجال
ولكبار السنّ؟"
أسمَعَ إيا صوته وتكلّم،
قال لي، أنا خادمه:
"سوف تكلمهم هكذا:
"أظن أن إلّيل قد نبذني،
لذا لا يُمكنني البقاء في مدينتكم،
ولن أستطيع أن أطأ أرض إلّيل مجدداً.
عليّ أن أنزل إلى **أبسو** وأبقى مع
سيّدي إيا.
عندها سيُغدق عليكم الوفر،
ثرواتٍ من الطيور، وكنوزاً من الأسماك.
[ ] ازدهاراً، حصاداً،
عند كعكات الصباح/ "ظلمة"،
وعند المساء وابل من القمح/ "ثقل" سيُمطر
عليكم. " "
وعندما لاحت خيوط الفجر الأولى
تحلقت البلاد من حولي.
أحضرَ النجّارُ فأسه،
وأحضرَ القصّابُ حجَره،
الشبّان [ ]
[ ] مُشاقةَ الحبال القديمة (؟)
وحمل الأولاد القار،
وأتى الفقراء بما يحتاجونه من [ ].

(٢) في اليوم الخامس صممت شكلها.
جعلت محيطها أكراً واحداً، وارتفاع كلٍ
من جدرانها عشرة أعمدة،
وكذلك حافتها العليا، عشرة أعمدة
حول مدارها.
وضعت تصميم تركيبتها، رسمتها،
جعلت لها ست دقات،
وقسمتها إلى سبعة أقسام.
وقسمت وسطها إلى تسعة،
وغرزت سدادات المياه في وسطها.
اهتممت بالمجاديف وقمت بالمطلوب:
سكبت في الأتون ثلاث وزنات من القار،
وسكبت بداخلها ثلاث وزنات من الزفت.
وجلب العمال الذين يحملون سلالاً ثلاث
وزنات من الزيت.
ولم يحسبوا وزنات الزيت التي امتصّها
الغبار (؟)
فخزّن البحارةُ وزنتين إضافيتين من الزيت.
وعند الـ [ ] نحرتُ ثيراناً.
قدّمت ذبيحة من الخراف كل يوم.
وقدّمتُ شراب المزر والجعة للعمال،
وقدّمتُ الزيتَ والخمر كما لو كانت مياه النهر
أقاموا الاحتفالات، كمهرجان رأس السنة
وعندما [أشرقت (؟)] الشمس، قدّمت لهم

زيتاً للأيدي.
[وعند] مغيب الشمس كانت السفينة قد اكتملت.
[كان إبحارُها(؟)] عسيراً جداً؛
كان علينا أن نُحضر مزالج الإبحار (من)
الأعلى (إلى) الأسفل.
بقي ثلثاها [فوق سطح الماء (؟)].
حمّلتُ على متنها كل شيء هناك،
حمّلتها جميع الأواني الفضّية،
وحمّلتها جميع الأواني الذهبيّة،
وحملتها بذور كلّ الكائنات الحيّة،
(٣) جميعها.
وضعت على متنها جميع أنسبائي وأقربائي.
ووضعت على متنها قطعاناً من البرية، ووحوشاً
من البرية، وجميع أنواع الحِرفيين.
كان شمش قد حدّد الساعة:
"عند كعكات الصباح/ "ظلمة"،
وعند المساء وابل من القمح / "ثقل"
(أنا) سوف أمطِره عليكم:
أدخل إلى السفينة واقفل بابك!"
حانت تلك الساعة؛
عند كعكات الصباح/ "ظلمة"، وعند المساء
انهمر وابل من القمح/ "ثقل".
شاهدتُ شكلَ العاصفة،
كانت العاصفة مرعبة.

ركبت السفينة وأقفلت الباب.
ولأحكم ختم السفينة، عهدت بالقصر (العائم)
مع حمولته للمراكبي بوزور – أموري.
وعندما لاحت خيوط الفجر الأولى،
ظهرت في قرص السماء غمامة سوداء.
وراح أدد يزمجر في قلبها.
وزحف شولات وخانش في المقدمة،
زحفا كحاجبين (فوق) (؟) الجبل والأرض.
اقتلع إركال أعمدة المرساة (؟)،
تقدّم نينورتا وجعل السد (ود) تفيض.
وكان على الأنوناكي رفع المشاعل،
فأضاؤا الأرضَ ببريقها.
وخيّم على السماء هدوء يسبق إله العاصفة،
وتحوّل كلّ ضوءٍ إلى ظلام.
[ ]
في اليوم الأول [هبّت] العاصفة،
صَفَرَت بسرعة مفاجَئة و[جلبت (؟) سلاح الطوفان]،
وكقوة مقاتلة مرّ [سلاح كاشوشو المدمّر] على [الناس].
فلم يعد أي رجل يرى رفيقه،
ولم يعد الناس يتميّزون عن السماء.
حتى الآلهة خافوا من سلاح الطوفان.
فتراجعوا، وصَعدوا إلى سماء آنو.
إنكمش الآلهة مرتعدين، وربضوا كالكلاب
قرب جدار خارجي.

وصاحت عشتار كامرأة تلِد؛
سيّدة الآلهة، ذات الصوت الرخيم، كانت تنتحب:
"هل فعلاً تحوّل ذلك الوقت إلى طين
لأنني تفوهّتُ شرّاً في مجمع الآلهة؟
كان عليّ أن (؟) آمرَ بمعركة تدمّر شعبي.
أنا نفسي ولدتُـــ(ـــهم)، إنهم شعبي أنا،
معَ ذلك يملاؤون البحر كبيض السمك!"
كانت آلهة الأنوناكي تشاركها البكاء.
اتضع الآلهة وجلسوا يبكون.
كانت شفاههم مقفلة واعتلاها القشب.
لستة أيام و [سبع] ليالٍ
عصفت الريح، وأغرق الطوفان والعاصفة الأرض.
وفي اليوم السابع لهجوم العاصفة والطوفان
وبعد أن عانا معاناة امرأة تلد، إنكفأا (؟).
هدأ البحر، وسكنت ريح إيمخولو، وكبح الطوفان.
نظرت إلى الطقس؛ كان الصمت سائداً،
فجميع أبناء البشر قد تحولوا إلى طين.
وبدا الحقل الذي غمره الطوفان مسطحاً كسقف.
فتحتُ كوّةً، فسطع نورٌ على خدودي.
انحنيت، ثم جلست. وبكيت.
انهمرت دموعي على خدودي.
بحثت عن ضفاف، عن حدود للبحر.
مساحات من اليابسة بدأت تلوح من كل صوب (؟).

(٤)   رست السفينة فوق **جبل نيموش**.

سَنَدَ جبل نيموش السفينة بإحكام

ولم يدعها تتزحزح.

في اليوم الأول كما في الثاني، سَنَدَ جبل نيموش

السفينة بإحكام ولم يدعها تتزحزح.

في اليوم الثالث كما في الرابع، سَنَدَ جبل نيموش

السفينة بإحكام ولم يدعها تتزحزح.

في اليوم الخامس كما في السادس، سَنَدَ جبل نيموش

السفينة بإحكام ولم يدعها تتزحزح.

وفي اليوم السابع،

أخرجت يمامةً وأطلقتها.

رحلت اليمامة؛ ثم رجعت،

وإذ لم يتراءى لها مجثم تحط عليه، عادت.

أخرجت سنونوةً وأطلقتها.

رحلت السنونوة؛ ثم رجعت،

وإذ لم يتراءى لها مجثم تحط عليه، عادت.

أخرجت غراباً وأطلقته.

رحل الغراب ورأى المياه تنحسر.

فأكلَ، وسّوى ريشه بمنقاره (؟)،

رفع ذيله ولم يرجع.

عندها أخرجتُ (كل شيء ؟) للرياح الأربع،

وقدّمَتُ الأضاحي.

وضعت قربان سرقينو فوق قمة الجبل،

ورتّبت الجرار سبعة تلو سبعة؛

وسكبت في قعرها (روح عطور ؟) القصب،
والصنوبر، والآس.
تنشّق الالـهة الشّذى.
تنشّق الآلـهة الشّذى الزكي،
وكالذباب حوّم الآلـهة فوق القربان.
وعندما وصلت سيّدة الآلـهة
رفعتُ الذبابات الكبيرة التي صنعها
آنو لإرضائها:
"أنظري أيتها الآلهة، سوف لن أنسى)مغزى)
عقدي اللازوردي.
سوف أذكر هذه الأوقات، ولن أنسى.
فليأتِ آلهة إلى قربان سُرقينو،
ولكن لا تدعوا إلّيل يأتي إلى قربان سُرقينو،
لأنه لم يتشاور قبل أن يفرض الطوفان،
وسلّم شعبي للهلاك!"
ورأى السفينة حتى اهتاج غضباً،
وامتلأ قلبه غيضاً من آلهة إيكيكي.
"أي نوع من الكائنات بقي على قيد الحياة؟
لا يجوز أن يبقى أي رجلٍ حياً بعد الدمار!
أسمَعَ نينورتا صوته وتكلم،
وقال للمحارب إلّيل:
"من غير إيا يقوى على القيام بعمل كهذا؟
فبإمكان إيا القيام بكل شيء!"
أسمَعَ إيا صوته وتكلّم،

قال للمحارب إلّيل:
"أنت حكيم الآلهة أيها المحارب،
فكيف إذاً كيف أخفقت في استشارة الآلهة
وفرضت الطوفان؟
عاقب الخاطئ على خطيئته، وعاقب المجرم
على جرمه،
ولكن تروّ، ولا تدع العمل يتوقف، كن
صبوراً لا تدعه [ ]
وبدل أن تفرض الطوفان، دع أسداً يأتي
ويقلل عدد البشر.
وبدل أن تفرض الطوفان، دع ذئباً يأتي
ويقلل عدد البشر.
وبدل أن تفرض الطوفان، افرض مجاعةً
و[قلل] مساحة الأرض.
وبدل أن تفرض الطوفان، دع إيرا يثور
ويهاجم البشر بوحشية.
أنا لم أبح بسرّ الآلهة،
أنا فقط جعلت أترخاسيس يرى حلماً،
وهكذا سمع سرّ الآلهة."
والآن، فإن النصيحة (التي سادت) كانت نصيحته.
صعد إلّيل على متن السفينة،
أمسك بيدي وَقادني إلى الأعلى.
كما قاد امرأتي وجعلها تركع قربي.
لمس جبينينا، ووقف بيننا، وباركنا قائلا:

"حتى الآن، كان أوتنابشتي فانياً،
أما من الآن فصاعداً فسوف يكون أوتنابشتي
وامرأته مثلنا نحن الآلهة.
سوف يسكن أوتنابشتي عند مصبّ الأنهار."
أخذوني وجعلوني أسكن بعيداً عند مصبّ الأنهار.
إذاً من يستطيع الآن (يا كلكامش) أن
يستجمع الآلهة من أجلك،
حتى تنال أنت أيضاً الحياة الأبدية التي تسعى لها؟
كبداية، عليك ألا تنام لستة أيام وسبع ليالٍ.'
وما أن جلس (ووضع رأسه) بين ركبتيهن
حتى غالبه النوم كغمامة.
خاطبها أوتنابشتي، خاطب زوجته قائلاً:
'أنظري إلى الرجل الشاب الذي يسعى لحياة أبدية!
فالنوم يغالبه كغمامة!'
زوجته خاطبته، خاطبت أوتنابشتي النائي البعيد قائلةً:
'ألمسه، ودع الرجل يفيق.
دعه يعود بسلام من حيث أتي،
إلى دياره عبر البوابة العظيمة، التي خرج مرةً.'
خاطبها أوتنابشتي، خاطب امرأته قائلاً:
'الرجل أساء التصرف، سيُسيء التصرف معك.
(٥) كبداية، أخبزي له حصة يومية، وضعيها
كل مرة قرب رأسه.
وضعي إشارة إشارة على الجدار بالأيام التي ينامها.'
خبزت له حصة يومية، وضعتها كل مرة قرب رأسه،

ووضعت إشارة على الجدار بالأيام التي ينامها.
جفت حصة اليوم الأول،
وساءت حصة الثاني، وحمضت حصة الثالث،
واعتلى العفن الأبيض (؟) وجه حصة الرابع،
وسحب لون حصة الخامس،
ونتن (؟) طعم حصة السادس،
وحصة السابع - في تلك اللحظة لمسه
فأفاق الرجل.
خاطبه كلكماش، خاطب أوتنابشتي النائي البعيد قائلاً:
'ما إن غلبني النوم
حتى لمستني، وفوراً، أيقظتني!'
خاطبه أوتنابشتي، خاطب كلكماش قائلاً:
'[أنظر (؟)، يا كلكامشن واحص حصصك اليومية،
[حتى] يثبت لك [عدد الأيام التي نمتها].
حصة يومك [الأول جافة]،
والثانية ساءت، والثالثة حمضت،
والرابعة اعتلاها العفنَ الأبيض (؟)،
وشحب لون الخامسة، وطعم السادسة نتن (؟)،
[والسابعة -] في تلك اللحظة استفقت.'
خاطبه كلكامش، خاطب أوتنابشتي النائي البعيد قائلاً:
'كيف، آه كيف استطعت أن أفعل هذا يا أوتنابشتي؟
إلى أين سأذهب؟
فقد قطع الخاطفون [دروبي (؟)]:
والموت ينتظر في غرفة نومي،

وأينما أضع قدمي، أجد الموت أيضاً.'
خاطبه أوتنابشتي، خاطب أورشنابي المراكبي قائلاً:
'يا أورشنابي، سوف يقذفك رصيف الميناء،
وتنبذك السفينة.
وُتحرم من جانبيها، حيث التجأت مرة.
والرجل الذي قُدت: الشعر الأشعث يكب جيده،
وشوّهت الجلود جمال بشرته.
خذه يا أورشنابي إلى حوض للغسل،
ودعه يغسل شعره شعره الأشعث بالماء، ليصبح
نظيفاً قدر المستطاع (؟).
دعه يرمي جلوده، وليحملها البحر بعيداً.
دع جسده ينتقع (حتى يصبح) ندياً.
وضع على رأسه عُصابة جديدة.
واجعله يرتدي رداءً يفاخر به
حتى يصل إلى مدينته،
حتى يصل إلى نهاية رحلته.
لن يشجب لون الرداء، بل سيبقى
كأنه جديد.'
أخذه أورشنابي إلى حيث حوض للغسل،
فغسل في الماء شعره الأشعث، وأصبح نظيفاً
قدر المستطاع (؟).
رمى جلوده، فحملها البحر بعيداً.
انتفع جسده (حتى أصبح) نديّاً.
وضع على رأسه عُصابة جديدة.

وارتدى رداءً يفاخر به
حتى وصل إلى مدينته،
حتى وصل إلى نهاية رحلته.
فما شحب لون الرداء، بل بقي
وكأنه جديد.
ركب كلكامش وأورشنابي متن السفينة.
تخلوا عن المركب **ماجيلوا** وأبحر بعيداً.
خاطبته زوجته، خاطبت أوتنابشتي النائي البعيد قائلةً:
'جاء كلكامش منهوك القوى، مكافحاً،
فماذا ستعطيه ليحمله معه إلى بلاده؟'
ومن بعيد، رفع كلكامش السارية،
واقترب بسفينته من الشاطئ
خاطبه أوتنابشتي، خاطب كلكامش قائلاً:
(٦) 'يا كلكامش، جئتُ منهوك القوى، مكافحاً،
فما أعطيك لتحمله معك إلى بلادك؟
دعني أكشف لك عن مسألة شديدة الحذر،
يا كلكامش،
ودعني أطلعك على سرّ الآلهة.
هناك نبتة لها جذور كشوك الجمل،
شوكها، كشوك الوردة، ستغز [يديك].
فإذا استطعت أنت أن تحصل على تلك النبتة،
فستعثر على [تجدد السباب (؟)]. '
عندما سمع كلكامش هذا الكلام، فتح الأنبوب،
وربط حجارةً ثقيلة في قدميه.

فسحبوه إلى الأبسو و [رأى النبتة].
أخذ بنفسه النبتة، فغرز شوكها في [يديه].
وقذف البحر به إلى شاطئه.
خاطبه كلكامش، خاطب أورشنابي المراكبي قائلاً:
'يا أورشنابي، هذه النبتة هي نبتة تعالج أزمة!
قد يحِصل المرء بها على روح الحياة.
سوف أعود بها إلى أوروك الحظيرة؛ وسوف أقدمها
لرجل كبير في السن كي يأكلها، وهكذا -
أجرّب النبتة.
(وسيكون) اسمها: "الرجل العجوز يصبح شاباً".
وأنا أيضاً سآكلـ(ـها) فأعود ذلك الشاب
الذي كنته مرةً.
وبعد أن قطعا عشرين فرسخاً تناولا طعامهما.
وبعد أن قطعا ثلاثين فرسخاً توقفا للميت,
شاهد كلكامش بركة من المياه الباردة،
فنزل إلى الماء واغتسل.
ثم تنشّقت أفعى أريج النبتة.
فانسلّت بهدوء وأخذت النبتة.
وبينما حملتها ورحلت، خلعت جلدها المحرشف.
وعليه جلس كلكامش وبكى.
فانهمرت دموعه على وجنتيه.
[فخاطب (؟) أورشنابي المراكبي قائلاً:
'لأي هدف (؟)ن يا أورشنابي، أرهق ساعديّ؟
لأي هدف (؟) اشتدّ احمرار (؟) الدم في ضلوعي؟

لم أكسب أي ميزة لنفسي،
فلقد منحت الميزة لـِ "أسد الأديم".
والآن سيجرف التيار (؟) عشرين فرسخاً.
وبينما كنت أفتح الأنبوب، و[أرتّب (؟)]
العدّة (؟)،
عثرت (؟) على سير باب (؟) حتماً وُضع هناك
نذيراً لي. سأستسلم.
ولقد تركت المركب عند الشاطئ.'
وبعد أن قطعا عشرين فرسخاً تناولا طعامهما.
وبعد أن قطعا ثلاثين فرسخاً توقفا للمبيت.
وصلا إلى أوروك الحظيرة.
خاطبه كلكامش، خاطب أورشنابي المراكبي قائلا:
'تسلّق يا أورشنابي سور أوروك وسر حوله،
تفحّص مرتبة الأساس، وعاين أعمال الآجر!
واشهد أن قرميداتها هي من القرميد المخبوز،
وأن المستشارين السبعة هم الذين أرسوا أساسته!
مساحة المدينة ميلاً مربعاً، وبساتينها ميلاً مربعاً آخر،
وتبلغ حُفَر الطين ميلاً مربعاً، وكذلك أرض
الفلاة المحيطة بمعبد عشتار.
ثلاثة أميالٍ مربعة ومساحة من أرض الفلاة تكوّن
مدينة أوروك.'
(سطر يتكرر في اللوح التالي)
'لو أني فقط تخليت عن **الباكي** في منزل النجّار اليوم!'

اللوح الثاني عشر

(١) 'لو أني فقط تخليت عن **الباكي** في منزل النجَار اليوم!'

[لكنتُ تخلّيت عن (؟)] زوجة النجّار كما الأم

التي حملتني.

و[لكنتُ تخلّيت عن (؟) ابنة النجّار كما

شقيقتي الصغرى.

اليوم سقط **الباكي** في الأرض

كما سقط **ماكيّ** في الأرض.'

[أسأل] أنكيدو كلكامش:

'سيّدي، علام بكيت، وقلبك [املكته الحزن]؟

سوف أخرجُ **الباكي** من الأرض اليوم،

وسوف أخرج **الماكي** من الأرض.'

[قال] كلكامش لأنكيدو:

'إذا كنتَ [ستنزل] إلى الأرض،

[فعليك أن تتبع] تعليماتي.

[عليك أن ترتدي] ثوباً نظيفاً،

فسوف يعرفون أن غريباً عنهم.

يجب ألا تتعطّر بزيتٍ عطرٍ من

إناءٍ للمرهم.

لأنهم سيتحلقون حولك من رائتحه.

يجب ألاّ ترمي عصا قاذفة في الأرض،

لأن من تصيبهم عصا القاذفة سيطوقونك.

يجب ألاّ ترفع هراوةً بيديك،

فسوف ترفرف الأشباح من حولك.

يجب ألاّ تلبس حذاءً في قدميك
كي لا تحدث في الأرض ضجيجاً.
ويجب ألاّ تقبّل الزوجة التي تحب،
ويجب ألاّ تضرب الزوجة التي تكره،
ويجب ألاّ تقبّل الإبن الذي تحب،
ويجب ألاّ تضرب الإبن الذي تكره،
لأن استغاثة الأرض ستقبض عليك.
تلك التي تنام وتنام، والدة نينازو التي تنام _
كتفاها النقيتان، لا يكسوهما رداء
وثدياها، ليسا متهدلين كإناء مرهمٍ

في حوض **شباتو**
(٢) لكنه [لم يتبع تعليمات سيّده.]
ارتدى ثوباً نظيفاً،
فعرفوا أنه غريبٌ عنهم.
وتعطّر بزيتٍ عطرٍ عِنهم.
إناءٍ للمرهم.
فتحلقوا حوله من رائحته.
ورمى عصا قاذفة في الأرض،
فطوّقه من أصابتهم عصا القاذفة.
ورفع هراوةً بيدِيه،
فرفرفت الأشباح من حولـــ(ـــه).
ولبس حذاءً في قدميه
فأحدث في الأرض ضجيجاً.

وقبل الزوجة التي يحب،
وضرب الزوجة التي يكره،
وقبل الإبن الذي يحب،
وضرب الإبن الذي يكره،
وقبضت عليه استغاثة الأرض.
تلك التي تنام وتنام، والدة نينازو التي تنام_
كتفاها النقيتان، لم يكسوهما رداء
وثدياها، لم يكونا متهدلين كإناء مرهمٍ
في حوض **شيكاتو**.،
(٣) وعندما [حاول] أنكيدو الصعود والخروج من الأرض،
لم يقبض **نمتار** عليه، كما لم يقبض عليه **الأساكو**:
لم يقبض عليه الجاثم، **أوكُر** عديم الرحمة:
بل قبضت الأرض عليه.
لم ينزل في عراك مع الذكور: بل قبضت
الأرض عليه.
[ذهب] ابن **ننسون** وبكى خادمه أنكيدو.
ذهب بمفرده إلى لإيكور، معبد إنْليل.
'أيها الولد إنْليل، اليوم سقط الباكي في الأرض،
وسقط **ماكيّ** في الأرض،
وقبضت **الأرض** على أنكيدو الذي
نزل ليخرِجهما.
لم يقبض **نمتار** عليه، كما لم يقبض عليه **الأساكو**:
بل قبضت **الأرض** عليه.
لم يقبض عليه الجاثم، **أوكُر** عديم الرحمة:

بل قبضت **الأرض** عليه.

لم ينزل في عراك مع الذكور: بل قبضت

الأرض عليه.'

لم يجبه الوالد إليل بمطلق كلمة، فذهب

بمفرده إلى مع٩بد **سن**.

'أيها الوالد **سن**، اليوم سقط **الباكي** في الأرض،

وسقط ماكي في الأرض،

وقبضت الأرض على أنكيدو الذي

نزل ليخرجهما.

لم يقبض **نمتار** عليه، كما لم يقبض عليه **الأساكو**:

لم يقبض عليه الجاثم، **أوكُر** عديم الرحمة:

بل قبضت **الأرض** عليه.

لم ينزل في عراك مع الذكور: بل قبضت

الأرض عليه.'

لم يجبه الوالد سن بمطلق كلمة، فذهب

بمفرده إلى معبد **إيا**.

'أيها الوالد إيا، اليوم سقط الباكي في الأرض،

وسقط ماكي في الأرض،

وقبضت الأرض على أنكيدو الذي

نزل ليخرجهما.

لم يقبض **نمتار** عليه، كما لم يقبض عليه **الأساكو**:

لم يقبض عليه الجاثم، **أوكُر** عديم الرحمة:

بل قبضت **الأرض** عليه.

لم ينزل في عراك مع الذكور: بل قبضت

الأرض عليه.'

أجابه الوالد إيا،

وخاطب المحارب [أوكر]،

'أيها الشاب أوكر المولع بالحرب [ ]

يجب أن تحدث فجوة في الأرض الآن (؟)،

كي [تخرج] روح [أنكيدو من الأرض

كعصفة ريح]. '

[ويعود (؟)] إلى أخيه [كلكامش].

الشاب أوكر المولع بالحرب [ ]

أحدث فجوة في الأرض آنذاك (؟)،

وخرجت روح أنكيدو من الأرض

كعصفة ريح.

فتعانقا وتبادلا القُبَل (؟)،

وتباحثا ، وتحسرا.

(٤) 'أخبرني يا صديقي، أخبرني يا صديقي،

أخبرني عن أحوال الأرض وكيف وجدتها!'

'لا أستطيع أن أخبرك، يا صديقي، لا أستطيع أن أخبرك!

إن أخبرتك عن أحوال الأرض وكيف وجدتها،

يجب أن تجلس (و) تبكي!

وسأجلس أنا وأبكي!

[زوجتك (؟)،] التي لمست وسُرّ قلبك،

تآكلتها الحشرات الضارة [مثل (؟) رداءٍ] قديم.

[وابنك (؟) الذي] لمست وسُرّ قلبك،

[يجلس في شِقّ (؟)] يعلوه الغبار.

قالت: "واأسفاه"، وتعفرت بالتراب.
ورأيت [والد أحد (؟) رأيته (؟) أنت (مرةً)]
مغطىً [ ]
يبكيه / (ــها) بمرارة (؟).
ورأيت [والد اثنين (؟) رأيتهم أنت (مرةً) (؟)]
يأكل خبزاً [وهو جالسٌ على قرميدتَين (؟)]
ورأيت [والد ثلاثــ/(ــة) (؟) رأيتهم / (ــن) أنت (مرةً) (؟)]
يشرب الماء [من قربة جلديّة]
ورأيت [والد أربعــ/(ــة) (؟) رأيتهم /(ــن) أنت (مرةً) (؟)]
[ ] قلبه مسرور بفريق رباعي!
ورأيت [والد خمســ/(ــة) (؟) رأيتهم /(ــن)] أنت (مرةً):
وككاتبٍ سخيّ من الطراز الأول،
يدخل القصر [كأمر متوقع].
ورأيت [والد ستــ/(ــة) (؟) رأيتهم/(ــن) أنت (مرةً)
(مقطع مجتزأ من حوالي ستة أسطر)
(٥) مثل رمزٍ أنيق [ ]
مثل [ ]
(مقطع مجتزأ من حوالي خمسة وعشرين سطراً)
رأيته، ذلك الذي رأيته أنت عند السواري
[من]
وهو الآن يبكي أمه بينما يقتلع الأوتاد.
رأيته، ذلك الذي رأيته أنت [يموت] ميتةً فجائية:
(٦) إنه يرقد في السرير ويشرب الماء النقي.
رأيته، ذلك الذي رأيته أنت يُقتلُ في معركة:

والده وأمه يكرمانه، وزوجته تبكيه.
رأيته، ذلك الذي رأيت أنت جثته ملقاة في البرية:
شبحه لا يرقد في الأرض.
رأيته، ذلك الذي رأيته أنت، والذي
لا أحد يموّن شبحه.
فهو يتغذّى من حثالات الأطباق، وفتات الخبز
الملقاة في الشوارع.

(النقوش الختامية)

اللوح الثاني عشر، 'عنه هو الذي أبدع كلّ الأشياء'
[ ] كُتِب، ودقق.
(انقسام)

(عن كتاب أساطير من بلاد الرافدين ص١٣٧-١٥٤)